الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
مديرية الآثار العامه
بغداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧١ م | المجلد السابع والعشرون

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	كتابات الحضر	فؤاد سفر
١٥	مسلّة من بدرة	فؤاد سفر
٢٥	النياندر تاليون وتراثهم الثقافي	الدكتور عبدالجليل جواد
٣٥	التنقيب في تل الصوان (الموسم الخامس) شتاء ٦٧ـ١٩٦٨	الدكتور بهنام أبو الصوف
٤٥	مجموعة قبور تل قاليچ اغا ـ اربيل	شاه الصيواني
٥٣	رحلة اينانا الى أريدو	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٦٣	نتائج أعمال الصيانة والتحريات والتنقيب في زقورة عقرقوف (الموسم ١٠ـ١٣)	عبدالاله عبدالرزاق الجميلي
٩٩	دراسة تحليلية لنصوص مسمارية من العهد البابلي القديم	الدكتور اكرم الزيباري
١٠٩	لماذا سقطت الدولة الآشورية ؟	الدكتور سامي سعيد الاحمد
١٢٩	المدائن (طيسفون) ١٩٧٠ـ١٩٧١	الدكتور طارق مظلوم
١٤٧	أقدم درهم معرب للخليفة عبدالملك بن مروان	الدكتور عيسى سلمان
١٥٣	منطقة واسط (دراسة طوبوغرافية مستندة الى المصادر الادبية)	الدكتور صالح أحمد العلي
١٨٥	دراسة تحليلية واحصائية للالقاب الاسلامية	الدكتور محمد باقر الحسيني
٢٣٣	العملة الاسلامية في العهد الايلخاني	السيدة مهاب البكري
٢٦١	رأي في موضع قبر المتنبي	الدكتور عادل البكري
٢٦٥	المدينة والاثار المعمارية	الدكتور حيدر كمونة

التقارير والانباء والمراسلات

٢٧٩	آثار احرزها المتحف العراقي	كمال منصور عباده
٢٩٣	التنقيبات الاثرية في لارسا (الموسم الخامس) ١٩٧٠ (مترجم)	جميل حمودي
٣٠١	معلومات جديدة عن تاريخ لارسا (سنكره) (مترجم)	الدكتور وليد الجادر
٣٠٥	صناعة الجلود في وادي الرافدين (مترجم)	الدكتور وليد الجادر
٣٢١	نظرات في كتب آثارية حديثة	مؤيد دمرجي

منطقة واسط

دراسة طوبوغرافية مستندة إلى المصادر الأدبية

بقلم : الدكتور صالح احمد العلي

٢

(٣) كسكر وطساسيج منطقة واسط

لقد ذكرنا في مقدمة بحثنا ان العرب اوجدوا في العراق تنظيمات اقتضتها الاوضاع العسكرية والعمرانية الجديدة التي حدثت بعد الفتح الاسلامي وان من هذه الاوضاع تأسيس مدينة واسط التي أصبحت من أهم المدن في العراق وكانت مركزا لمنطقة نهدف في بحثنا دراسة طوبوغرافيتها ، وان العرب ابقوا التقسيمات القديمة وظلوا يسيرون عليها في الجباية المالية ، وذكرنا أيضا ان منطقة واسط كانت تشمل كورة كسكر ، التي ذكر ابن خرداذبه انها تسمى « كورة استان شاذسابور » (مسالك ٧) وذكر قدامة ان اسمها « استان خسرو سابور » (الخراج ٢٣٥) غير ان هذين الاسمين لا يترددان في المصادر التي تذكر كسكر .

وقد اتخذت هذه الكورة اسمها كسكر من اسم مدينة قديمة كانت من أهم المراكز المسيحية في العراق (أنظر الفصل القيم الذي كتبه الاستاذ حنا فاى في الجزء الثالث من كتابه « اشور المسيحية » ص ١٥١ - ١٨٧) ؛ وقد ذكر اليعقوبي عند وصفه مدينة واسط ان «المدينة القديمة في الجانب الشرقي ، وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي .. وسكان هاتين المدينتين اخلاط من العرب والعجم ، ومن كان من الدهاقين فمنزله بالمدينة الشرقية وهي مدينة كسكر » (البلدان ٣٢٢) وقد فهم بعض الباحثين ان المدينة المسماة « كسكر » هي الجانب الشرقي من واسط ، غير انني لم اجد اي مصدر ، غير اليعقوبي ، يذكر ان المدينة الشرقية من واسط

تسمى كسكر ، بالرغم من اشتهار اسم كسكر ، يضاف الى ذلك ان الحجاج منع بقاء النبط في مدينته (انظر تاريخ واسط لبحشل صـــ ٤٦) كما ان عددا من المصادر يذكر ان واسطاً انشئت في بقعة تسمى واسط القصب (بحشل ٤٣ فتوح البلدان ٢٨٩) ؛ وان تعبير (مدينة كسكر) قد يقصد منه انها مركز كورة كسكر • وقد ذكر ياقوت ما يوضح ذلك فقال « ان كسكر » قصبتها اليوم واسط ، القصبة التي بين الكوفة والبصرة ، وكانت قصبتها قبل ان يمصر الحجاج واسطا خسرو سابور » (٤/٢٧٥) ولما كانت كورة كسكر قديمة ، فمن الصعب ان نتصور ان يكون مركز الكورة في غير المدينة التي تسمى الكورة باسمها ؛ وعلى هذا فمن المحتمل ان تكون مدينة كسكر هي نفس مدينة خسرو سابور التي سنتكلم عنها فيما بعد •

وقد ذكر البلاذري (مدينة كسكر) دون ان يقدم معلومات توضح ماهيتها أو مكانها (فتوح البلدان ١٤٧) •

يقول الدينوري « قالوا : وكانت كســـكر كورة صغيرة فزاد انوشروان فيهـــا من كورة بهرسير وكورة هـــرمز دخره وكورة ميســـان ، فوسعها بذلك وجعلها طسوجين ، طسوج جنـــد يسابور (كذا والاصح خسرو سابور) وطسوج الزندورد » (الاخبار الطوال ٧٥) • ويتبين من هذا النص ان كسكر كانت كورة صغيرة ، فوسعها انو شروان بما اقتطعه من الكور المجاورة واضافه اليها ، ولكنه لم يلغ الكور المجاورة، كما انه جعل كورة كسكر طسوجين ، وهذا تدبير خاص ، لان كافة كور العراق الاخرى تتكون من ثلاثة طساسيج أو أكثر •

ويقول ياقوت ان « كسكر قصبتها اليـوم واسط ، القصبة التي بين الكوفة والبصرة ، وكانت قصبتها قبل ان يمصر الحجاج واســـطاً خسرو سابور ، ويقال ان حدكورة كسكر من الجانب الشرقي من آخـــر سقى النهروان الى ان يصب دجلة في البحر ، كله من كسكر ، فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها • ومن مشهور نواحيهـــا المبـــارك وعبدسى والمـــذار ونغيا وميسان ودست ميسان وآجام البريد ، فلما مصرت العرب الامصار فرقتها » (٤/٢٧٥) •

ويتبين من نص ياقوت

١ ـ ان كورة كسكر كانت تشمل حوض دجلة الادنى من اطراف النهروان الى البحر ، اي انها تشمل كور دجلة وجوخى ؛ فهي اوسع مما ادعاه الدينوري لها ، ويفهم من كلام ياقوت ان تحديده لها كان منطبقا على الاحوال قبيل الفتح الاسلامي •

٢ ـ ان العرب بعد الفتح الاسلامي فرقت كورة كسكر ، ولعل جوخى وكور دجلة ظهرت بعد هذا التفريق •

٣ ـ ان قصبة كسكر كانت قبل الاسلام خسروسابور ، ثم أصبحت قصبتها واسط بعد ان تأسست هذه المدينة • وهذا يدل على ان كورة كسكر كانت تشمل منطقة واسط أو معظمها ؛ وان المعلومات التي ذكرتها المصـــادر عن كورة كسكر تنطبق على منطقة واسط •

اشتهرت كسكر بزكـــاء الارض وجودة الغلات (الوزراء للصابي ٢١٨) ويكثر فيهـــا

الارز الذي كان الغذاء الرئيس لاهلها (ياقوت ٤٩٦/٢) وقد ذكر الجاحظ قوله لاهل كسكر « شـــعيركم عجب ، وارزكم عجب ، وسمككم عجب ، وجداءكم عجب ، وبطكـم عجـــب ، ودجاجكم عجب » (الحيوان ١٥/٤) وتساءل عن رجل مر بكسكر « فاين كان عن جـــداء كسكر ، ودجـــاج كسكر ، وسمك كسكر ، وصـــحناة كسكر ، وربيثاء كسكر ، وشـــعير كسكر » (الحيوان ٢٩٥/٣) وذكر أيضا جداء البصرة وجداء كسكر » (الحيوان ٤٨٢/٥) كما اشار الى دجاج كسكر (٢٤٨/٢) ويقول الثعالبي ان « دجاج كسكر موصوف بالجودة والسمن مذكور في اطايب الاطعمة ، وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل » (ثمار القلوب ٥٣٦، وأنظر أيضا ياقوت ٢٧٤/٤) ويذكر البلاذري ان الخليفة عمر بن عبدالعـــزيز امر واليه على البصرة اطعام فقرائها من طعام كسكر والسواد (انساب الاشراف ١٤٣/٧ مخطوط) •

يذكر الطبري ان كسكر كانت في أواخـر العصر الساساني « قطيعة للنرسى » (٢٠٦٨/١) وقد دافع النرسى عنها لما تقدمت الجيوش الاسلامية اليها (٢١٦٥/١) وقد قام المسلمون عليها بعـــدة غارات ، ذكر خلال اخبارها بعض الاماكن ومنها (السقاطيه اسفل كسكر) (طبري ٢١٦٨/١ – ٩ والولجه (٢٠٢٥/١ ، ٢٢٢٩) •

ولما فتح المسلمون العراق عـيّن الخليفةعمر بن الخطاب النعمان بن المقرن عاملا على كسكر (الطبري ٢٥٩٦/١ ، ٢٦١٥ فتوح البلدان ٣٠٣ الخراج لابى يوسف ٣٢) وممن ذكرت المصادر انهم كانوا عمالا على كسكر هم قدامه بن عجلان الازدي الذي ولاه الامام على (**الاخبار الطوال** للدينوري ١٦٣) كما ذكر الطبري **ان عبيدالله** بن الحر الذي كان قـــد ثار على الامويين في زمن خلافة عبدالملك بن مروان « سار الى كسكر فنفى عاملها واخذ بيت مالها » (٧٧٥/٢) •

اما في العصر العباسي فقد ذكر الجهشياري ان ابا ايوب المورياني وزير المنصور وعد سلمة بن ســـعيد بن جـــابر أن يوليه كسكر (الوزراء والكتاب ١١٢) وذكر الاصبهاني ان سليمان بن الفرات كان على كسكر في زمن المنصور (أغاني ٧٩/١٣) • كما ذكر الجهشياري ان هـــرون الرشـــيد قلـــد الفيضـــل بـن ابى الفيضـــل خراج كسكر وضياعها (الوزراء ٢٥٤) وذكر الطبري ان المعلى مولى المهدي تولى سنة ١٦٥ « على كور دجلـــة والبحرين وعمان وكسكر وكور الاهواز وفارس وكرمان » (٥٠٥/٣) • وفي زمن المأمون (؟) ولى كسكر عبيدالله بن يحى الخاقاني (الحيوان للجاحظ ١٩٦/٥) وذكر ابن قتيبـــة « داود بن ابي داود بواسط ايام ولايته كسكر (عيون الاخبار ٢٥٠/٣) •

لقد كانت كسكر أحد أقسام العراق **الثلاثة** في القائمة التي اعدها ابو الوزير عمر بن المطرف عن جبـــاية الخراج في أوائل **خلافة الرشيد** ، والقسمان الآخران همـــا **غلات الســـواد** ، كور دجله • وقد قدرت جباية **كسكر** في هـذه القائمة احد عشر الف الف وستمائة الف درهم (الوزراء والكتاب للجهشياري **٢٨١** – ٢) ان هذه الاقسام الثلاثة ومقدار جباية كل منها تطابق

ما جاء في قائمة احمد بن محمد بن عبدالحميد التي اعدها للمأمون فيما ذكره ابن خلدون في مقدمته نقلا عن جراب الدولة •

وقد ذكر ابن خرداذبه (المسالك ٧) وقدامه (الخراج ٢٣٥) ان كسكر اربعة طساسيج : طسوج الزندورد ، طسوج الثرثور ، طسوج الاستان ، طسوج الجوازر • وذكر ابن خرداذبه ان « كورة كسكر وفيها نهر الصلة وبرقة والريان ، وكان يرتفع من خراجها وسائر ابواب مالها سبعون الف الف درهم(كذا!) تقديرها من الحنطة ثلاثة آلاف كر ، ومن الشعير والارز عشرون الف كر ، ومن الورق مائتا الف درهم (المسالك ١٢) اما قدامه فيقول « ويقال ان ارتفاعها كان في القدم تسعون الف درهم (!) وهو في هذا الوقت من الحنطة ثلاثة الاف كر ، ومن الشعير الفى كر ، ومن الورق مائتان وسبعون الف درهم) (الخراج ٢٣٨) ومن الواضح ان رقم (تسعون الف درهم) غير صحيح ، ومن المحتمل انه (تسعون الف الف درهم) •

وذكر الصابي ضمان أحمد بن محمد الطائي في أوائل خلافة المعتضد وهو يشمل : اعمال سقي الفرات ، ودجله ، وجوخى ، وواسط ، وكسكر ، وطساسيج نهر بوق والذيبين ، ونهربين ، والراذانين (الوزراء ١٥) •

لقد ذكرابن خرداذبه ان كورة كسكر فيها نهر الصلة وبرقة والريان (١٢) فأما برقة فقد ذكر مسكويه ان سيف الدولة لما انكسر في واسط وهرب منها « لزم نهرا قال له الجازر بقرب معسكره فاداه الى قرية تعرف ببرقه،ولزم البريه حتى وافى بغداد » (تجارب الامم ٢/٤٠) •

لقد ذكرنا ان كلا من ابن خرداذبه وقدامه يذكران ان كورة كسكر تتكون من اربعة طساسيج هي : طسوج الاستان ، طسوج الثرثور ، طسوج الزندورد ، طسوج الجوزار •

فاما الاستان فلم اجد له ذكرا في المصادر •

واما الثرثور فان المصادر ذكرت تحول دجلة الى مجراه الغربي قبيل الفتح الاسلامي ادى الى اغراق « طسوج الثرثور حتى صارت بطائح الى هذا الوقت مسيرة أيام ، وذلك بين واسط والبصرة ، واسمها في هذا الوقت في ديوان السلطان آجام البريد واخراب جوخى وكانت اعمر السواد » (التنبيه والاشراف ٣٧ وانظر أيضا ص ٤٨) ؛ وهذا يظهر ان طسوج الثرثور قد أصبح كله ، أو معظمه ، بطائح ، والراجح ان بطائح الثرثور هي التي تمتد بعد الحوانيت ، وليست تلك التي تمتد في شمالى واسط •

وقد ذكر مسكويه البزبونى من الجامده حيث توفى فيه محمد بن احمد الصيمرى سنة ٣٣٩ (تجارب اذمم ٢/١٢٣) كما عسكر فيه المطهر الذي ارسله عضدالدولة لمحاربة عمران بن شاهين (تجارب ٢/٤١٠) ولكن يصعب القول ان كلمة (البزبوني) هي تحريف من الثرثور •

اما زندورد فقد اشتهرت ببابها الذي نقله الحجاج الى واسط ثم نقله المنصور الى بغداد ، فقد ذكر البلاذري « ونقل الحجاج الى قصره والمسجد الجامع بواسط ابوابا من زندورد والدوقره وداروساط ودير ماسرجسان وشرابيط ، فضج أهل هذه المدن وقالوا قد اومنا على مدننا

واموالنا ، فلم يلتفت اليهم » (فتوح البلدان ٢٩٠ وانظر ياقوت ٣/٦٣) ويقول الطبري « وذكر ان ابا جعفر احتاج الى الابواب للمدينة (بغداد) ، فزعم أبو عبدالرحمن الهماني ان سليمان بن داود كان بنى مدينة بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً ، وخربت تلك المدينة ، فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته، بواسط ، فلما بنى ابو جعفر المدينة اخذ تلك الابواب فنصبها على المدينة فهي عليها الى اليوم » (الطبري ٣/٣٢١ وانظر أيضا تاريخ بغداد للخطيب ١/٧٥ ياقوت ١/ ٦٨٤ ، ٢/٩٥٢) .

ان نص الطبري يدل على ان الزندور كانت بالقرب من واسط ، وانها خربت بعد بناء واسط ، ويقول ياقوت ان زندورد « مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط ، وينسب اليها طسوج عمل بكسكر » (٢/٩٥١) ويقول أيضا « قلت انا : والمعروف المشهور ان الزندورد مدينة كانت الى جنب واسط في عمل كسكر » (٢/٦٦٥) ويدل النص الثاني ان الزندورد قريبة جدا من واسط ، اما النص الاول فيدل على انها تقع جنوبي واسط .

وقد اشارت المصادر الى هجمات العرب على الزندورد قبل القادسية ، فيذكر البلاذري ان خالد بن الوليد « مر بزندورد من كسكر فافتتحها ، وافتتح درني وذواتها بعد ان كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة ، واتى هرمزجرد فامن اهلها أيضا وفتحها ، واتى اليس » (فتوح البلدان ٢٢٤٢ ؛ وهو يذكر أيضا ان ابا عبيد الثقفي ارسل المثنى الى زندورد (٢٥١) ويذكر الطبري ان نرسى نزل زندورد لاثارة اهل الرساتيق على العرب (١/٢١٦٦) وان المثنى أخرب وسبى اهل زندورد وبسريسى (١/٢١٧٠) . ان هذه النصوص تظهر ان الزندورد كانت بقربها درني ، وبسريسى ، وكذلك هرمزجرد .

اما الجوازر ، الذي ذكر كل من ابن خرداذبه وقدامه انه احد الطساسيج الاربعة لكورة كسكر ، فان ياقوت يقول ان « جازر قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر (٢/٧) وقد ذكر ان طسوج الجازر من استان شاذهرمز (٢/٢٢٨) وذكر في مكان آخر انه من استان شاذقباذ (٣/ ٢٢٧) ويلاحظ أن ابن خرداذبه يقول ان كسكر هي كورة استان شاذ شابور [٧] اما قدامه فيذكر ان كورة كسكر هي استان خسرو سابور (٣٥) .

لقد ذكرنا في أول كلامنا عن كسكر ان الدينوري يقول ان انوشروان وسع كورة كسكر وجعلها طسوجين : طسوج الزندورد ، وطسوج جنديسابور (٧٥) ورجحنا أن يكون اسم الطسوج الثاني خسروسابور ، لان جنديسابور تقع في الاهواز وذكرنا ان ياقوت يقول ان كسكر « كانت قصبتها قبل ان يمصر الحجاج واسطاً خسروسابور » (٤/٢٧٥) ويذكر ياقوت أيضا « خسروسابور ، والعامة تقول خسابور قرية معروفة قرب واسط ، بينهما خمسة فراسخ، معروفة بجودة الرمان » (٢/٤٤٢) . وقد ورد ذكرها في بعض حوادث سنة ٣٣٣ حيث يذكر محمد بن عبدالملك الهمذاني « خرج تكين يشدزادى صاحب

توزون الى جزيرة بنى غير ، وعاد الى جسرسابور وامر اصحابه بالتقدم الى واسط » (تكملة تاريخ الطبري ١٤٦) •

وقد ظلت هذه القرية حتى القرن السابع الهجري ، حيث ذكر الدبيثي ممن كان من رجالها العلماء كل من أحمد بن مبشر بن زيد ، والحسين بن أحمد بن محمد بن وزير ، وأحمد ابن أبي الهياج الواسطي ، ولكن يبدو أن أهميتها تناقصت آنذاك لان الدبيثي وهو من أهل تلك المنطقة وصفها « قرية تعرف بخسابور (١/٨١ب) « قرية تعرف بخسرسابور » (٣/٨٣ب) « خسرسابور احدى قرى السواد » (٣/٧١ب) •

يذكر ياقوت ان الموفقى منسوب الى الموفق ابى أحمد الناصر لدين الله المتوكل على الله ، وكان قد ولى عهد اخيه ، وهو نهر كبير حفره الموفق ؛ قصبة أعلاه بزوفر ، وقصبة أسفله خسرو سابور قرب واسط وخسروفيروز » (٤/٦٨٦) ان هذا النص يشير الى ان خسروسابور كانت محتفظة باهميتها في اواخر القرن الثالث الهجري ، كما يشير الى تبديلات أساسية في ادارة هذه المناطق ، ومنها ان خسروسابور أصبحت قصبة اسفل الموفقى • ومن المحتمل ان اراضى الموفقى كانت من كورة كسكر •

وللموفقى اهمية في مالية الدولة العباسية ، فقد كان « جارى جمهور بنى هاشم من العباسيين والطالبيين ما كان الناصر رحمه الله قرره لهم من ذلك وأوجبه لكل من أولادهم ، ذكورهم واناثهم ، حسابا لكل واحد منهم في كل شهر دينار ، وامر باطلاقه من ارتفاع ضيعته المعروفة بنهر الموفقي » (الوزراء للصابي ٢٠) •

ولا ريب في ان الموفق اراد بحفره الموفقى أن يعالج مشكلة مالية ولدت كثيرا من الاضطرابات في بغداد ، بسبب غلاء الاسعار وقلة ما كان يعطى لبنى هاشم ، مما أدى الى استيائهم وتذمرهم •

ويذكر مسكويه ان البريدى في سنة ٣٢١ « اقام مدة خمسين يوما بالنعمانية ينظر في اعمال الموفقى ثم مضى الى بغداد » (تجارب الامم ١/ ٢٧٤) •

لقد اوردنا اعلاه قول ياقوت ان الموفقى « نهر كبير •• قصبة اعلاه بزوفر وقصبة اسفله خسروسابور » (٤/٦٨٦) ، ويقول ياقوت في مكان آخر « بزوفر قرية كبيرة من اعمال قوسان قرب واسط وبغداد على النهر الموفقى في غربى دجله » (١/٦٠٧) •

فاما قوسان فان ياقوت يذكر انه « كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ، ونهره الذي يسقى زروعه يقال له الزاب الاعلى » (٤/٢٠٠) ونهر قوسان قديم ، ورد ذكره في حوادث القرن الاول الهجري ، فيذكر الطبري ان مصعب بن الزبير عندما تقدم من البصرة لانتزاع الكوفة من المختار « اقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب ، ولم تكن واسط هذه بنيت حينئذ بعد ، فأخذ في كسكر ، ثم حمل الرجال واثقالهم وضعفاء الناس في السفن ، في نهر يقال له خرشاذ ، ثم خرجوا من ذلك النهر الى نهر يقال له قوسان ، ثم اخرجهم من ذلك النهر الى الفرات » (طبري ٢/٧٢٤ أنظر

أيضا انساب الاشراف ٥/٢٥٨) •

وقد أصبحت لقوسان أهميةادارية كبيرة في العصورالعباسيةالمتأخرة ، فقد ذكر ابن الفوطي في كتابه (تلخيص مجمع الالقاب) وغيره عددا ممن ولي نظارة قوسان وهم :

١ ـ الحسين بن محمد بن عبدالوهاب السيبى المتوفى سنة ٥٦٤ (٤ ـ/١٣٥ وانظر المنتظم ١٠/٢٣١) •

٢ ـ عزالدين افلح بن محمد بن افلح المتوفى سنة ٤٥٩ (٤ ـ ١/٣٣) •

٣ ـ محمد بن محمد بن الحسين الخاتونى المتوفى سنة ٥٩٥ (الوافي ١/١٥٠) •

٤ ـ كمال الدين أبو الفضل محمد بن غزاله المدائني (٥/٢٧٦) •

٥ ـ عمادالدين أبو المظفر أحمد بن عزالدين الحسن بن محمد بن علجه السامى « رتب مشرفا على ناظر قرسان » (٤ ـ ٢/٦٥٩) •

٦ ـ عمادالدين الحسين بن سيف الدين كيخسرو المتوفى سنة ٧١٤ (٤ ـ ٢/٧١٣) •

٧ ـ أحمد بن محمد بن نزال البرزبى (٤ ـ ٣/١٠٦) •

٨ ـ فلك الدين ابو الفوارس اقسنقر بن عبدالله (٤ ـ ٣/٤٨٩) •

وذكر ابن الفوطي أيضا ان منصور بن مسعود بن أبي القاسم بن القاضي الاسدي رتب كاتباً بقوسان (٤ ـ ٤/٧٢٤) •

ومن نواحي قوسان زرفامية التي يقول ياقوت انها « قرية كبيرة من نواحى قوسان ، وهى نواحي الزاب الاعلى الذي بين واسط وبغداد •• وهى من غربى دجلة على شاطئها ، وهى الآن خراب ليس الا اثارها عند مصب الزاب الاعلى » (٢/٩٢٤) ويقول أيضا « واول أعمال واسط من شرقى دجلة فم الصلح ، ومن الجانب الغربي زرفامية » (٤/٨٨٢) • ويقول أيضا ان الزاب الاعلى « فهو عند قوسين ، واظن مأخذه من الفرات ، ويصب عند زرفامية ، وقصبة كورته النعمانيه واما الزاب الاسفل من هذين فقصبته « نهر سابس » (٢/٩٠٣) •

ولم يذكر ابن سرابيون قوسان والزوابى •

لقد نقلنا أعلاه قول ياقوت ان زرفامية قرية من نواحى قوسان ، وهى نواحى الزاب الاعلى الذي بين واسط وبغداد (٢/٩٢٤) ويذكر أيضا الزابان ويقول « فاما الاعلى فهو عند قوسين واظن مأخذه من الفرات ويصب عند زرفامية وقصبة كورته النعمانية على دجلة ، واما الزاب الاسفل من هذين فقصبته نهر سابس » (٢/٩٠٣) •

ويذكر الطبري ان زوّ ، وهو أخد ملوك الفرس القدماء « استخرج بالسواد نهراً وسماه الزاب ، وامر فبنيت على حافتيه مدينة وهى التى تسمى المدينة العتيقة ، وكورها كورة وسماها الزوابى ، وجعل لها ثلاثة طساسيج ، منها طسوج الزاب الاعلى ، ومنها طسوج الزاب الاوسط ، ومنها طسوج الزاب الاسفل ، وامر بحمل بزور الرياحين من الجبال اليها واصول الاشجار وبذور ما يبذر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه » (١/ ٥٣٢ ، وانظر أيضا مروج الذهب ١/٢٧٣ البدء والتاريخ ٤/٩٨ الغرر في سير ملوك الفرس ١٣٠ ، ١٣٦ ياقوت ٤/٤٤٦) •

والواقع ان ابن خرداذبه ذكر « كورة استان به ذيوماسفان وهي الزوابى ثلاثة طساسيج : طسوج الزاب الاعلى ، وطسوج الزاب الاوسط ، وطسوج الزاب الاسفل (مسالك ٨) وذكر أن كورة الزوابى ثلاثة طساسيج ، رساتيقها اثنا عشر رستاقاً ، بيادرها ٢٤٤ بيدرا ، الحنطة ١٤٠٠ كر ، الشعير ٧٢٠٠ كر ، الورق ٢٥٠٫٠٠٠ درهم (مسالك ١٠) ويذكر قدامة الطساسيج الثلاثة (الخراج ٢٣٦) ولكنه لا يذكرها في قائمة جبايات الطساسيج •

يقول البلاذري ان الحجاج بعد ان عمر واسطا « احتفر النيل والزابى وسماه زابيا لاخذه من الزابى القديم ، واحيا ما على هذين النهرين من الارضين (فتوح البلدان ص ٢٨٩ أنظر أيضا ياقوت ٤/٨٨٣ ، ٢/٢٩٥) ويدل هذا النص على ان الزابى القديم كان قائما ، وان الحجاج حفر نهرا ياخذ من النهر القديم وسماه بنفس الاسم ، غير ان نص الطبري يدل على ان طساسيج الزوابى الثلاث هي قديمة ولم تتأثر باعمال الحجاج •

لقد ورد ذكر الزابى في حوادث التاريخ الاسلامي ، فيذكر الطبري ان اهل الزوابى ساندوا جابان في مقاومته العرب (١/٢١٦٩) ، ولما تقدمت القوات العباسية الى العراق وانسحب ابن هبيره الى « سرّح ابو سلمه الحسن بن قحطبه ، فخندق الحسن واصحابه ونزلوا فيما بين الزاب ودجلة » (٣/٦٢) •

وفي أيام وزارة علي بن عيسى كان ابراهيم ابن عيسى يتقلد اعمال الزاب الاعلى (الوزراء للصابي ١٣٢) •

وعلى غربي الزاب الاعلى تقع همينيا (طبري ٣/٩٣٤) ويذكر الطبري ان بهمن اردشير « ابتنى بالسواد مدينة وسماها ابا ردشير هي القرية المعروفة بهمينيا من الزاب الاعلى » (١/٨٨٧) •

وتقع الوركاء بناحية الزوابى في حدود كسكر (ياقوت ٤/٩٢٢) •

اما النعمانية التي ذكر ياقوت انها قصبة الزاب الأعلى (٢/٩٠٣) فهي فيما يذكر « بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة ، معدودة من اعمال الزاب الاعلى ، وهي قصبة ، واهلها شيعة غاليه كلهم ، وبها سوق وارطال وافيه ، ولذلك صبح (صنج ؟) الذهب يخالف سائر اعمال العراق » (٤/٧٩٦) •

وفي منطقة النعمانية تقع باصلوخان التي يقول ياقوت انها « قد خربت منذ زمان طويل ، الا ان بعض اثارها باقية » (١/٤٧١) كما يذكر ان قروقد تقع بين النعمانية والمدائن (٤/٧٦) •

(٤) المنطقة الشمالية وبطيحة الصليق

لقد وصف كل من الدكتور سوسه في كتابه .ري سامرا ، والاستاذ آدمز في كتابه « اراضي ما وراء بغداد » المنطقة التي بين بغداد وجَبّل ، وخاصة ما يقع منها شرقي دجلة • ولما كانت « اول اعمال واسط من شرقي دجلة فم الصلح ومن الجانب الغربي زرقاميه » (ياقوت ٤/٨٨٢) • فان الدراستين المفصلتين الآنفتي الذكر تبحثان منطقة خارجة عن أعمال واسط ولا تدخل ضمن نطاق بحثنا • ولغرض ربط دراستنا بتلك المنطقة نقتصر هنا على ما ذكره اليعقوبي من الاماكن التي

بين المدائن وواسط ، فهو يقول ان « من المدائن الى واسط خمس مراحل :

أولها دير العاقول : وهي مدينة النهروان الاوسط وبها قوم دهاقين اشراف •

ثم جرجرايا : وهي مدينة النهروان الاسفل وهي ديار اشراف الفرس ••

ثم النعمانية : وهي مدينة الزاب الاعلى وبقرب منها منازل آل نوبخت ، وفي مدينة النعمانية دير هزقل الذي يعالج فيه المجانين •

ثم جبل : وهي مدينة قديمة عامرة •

ثم مادرايا : وهي منزل اشراف العجم قديمة •

ثم المبارك : نهر قديم •

وبعد النعمانية من الجانب الغربي من دجلة القرية المعروفة بنعماباذ وهي فرضة ينتقل منها ميرة دجلة الى النيل •

ثم نهر سابس : وهي في الجانب الغربي وهي بازاء المبارك ، لان مدينة المبارك من الجانب الشرقي منها يسلك الى طسوجي بادرايا وباكسايا •

ثم قناطر الخيزران من الجانب الشرقي •

ثم فم الصلح وفيه منازل آل الحسن بن سهل •• » (البلدان ٤٢٢) •

فأما فم الصلح فيقول ابن رسته انها « مدينة على شرقي دجلة وفيها مسجد جامع واسواق » (١٨٧) • ويقول ياقوت انها « اول اعمال واسط من شرقي دجلة » (٤/٨٨٢) • ويذكر في مكان آخر ان « فم الصلح نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبّل عليه عدة قرى (٣/٩١٧) وهو يستمد من دجلة على الجانب الشرقي وبها كانت منازل الحسن بن سهل ، وكانت للحسن هناك منازل وقصور اخنى عليها الزمان فلا يعرف لها مكان (٣/٤١٣) «وهو الآن خراب الا قليلا» (٣/٩١٧)، وقد توفى فيها الهيثم بن عدى (الفهرست ٤١٥) واشتهرت بزواج المأمون ببوران فيها •

وينقل ابن خلكان عن العماد ، ان « الصلح نهر كبير يأخذ من دجلة بأعلى واسط عليه نواحي كبيرة قد علا النهر وآل أمر تلك المواضع الى الخراب » (وفيات الاعيان ـ ١/٢٦١) •

ولم يذكر للصلح استان او طسوح باسمها في الكتب التي ذكرت كور العراق ، ويبدو ان اهميتها ازدادت في القرن الرابع فكان لها وللمبارك والي خاص ، فقد قلد الوزير الخاقاني « ابا الحسن الصلح والمبارك » (الوزراء الصابي ٢٩٥) وفي وزارة علي بن عسس كان « عبدالله بن علي الجرجرائي عامل الصلح والمبارك » (الصابي ٣٦٤) وقد قلد ابن الفرات محمد بن علي البزوفري الصلح (الصابي ٣٤) •

ومن القرى بناحية فم الصلح فامية (الخطيب ١١/٢٥٤ ياقوت ٣/٨٤٧) • ومن قراها أيضا دوران ٢/٦١٥ مراصد ٥٣٩) •

وفوق فم الصلح تقع الخيزرانية وقد سكرت دجلة « من عند الخيزرانية ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى بقية دجلة العوراء فخرقت وأنفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فأعياه ذلك » (رسته ٩٥) •

اما نهر سابس فيذكر ياقوت انه من قرى

واسط (١/٦٦٤) « والقرية مشهورة على طريق القاصد بغداد منها على الجـــانب الغربي (٣/٤ مراصد ٦٨٠) وهـو قصبة الزاب الاسـفل (٢/ ٩٠٢) وهو « فوق واسط بيوم عليـــه قرى » (٤/٨٤٠) •

ومقابل نهر سابس على الضفة الشرقية من دجلة تقع ماذرايا وهي « قرية فوق واسط من أعمال فم الصلح ••• والآن قد خرب اكثرها •• من طسوج النهروان الاسفل » (ياقوت ٤/٣٨١)•

وبين فم الصلح وواسط يقع نهر المبارك الذي يذكر الطبري انه يبعد تسعة فراسخ عن واسط (٣/٢٥٠٤) ويذكر ياقوت انه « نهر وقرية فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ ••• وقال هلال بن المحسن : المبارك قرية بين واسـط وفم الصلح ينسب اليها كورة منها فم الصلح جميعه » (ياقوت ٤/٤٠٩) وقد قلد ابن الفرات ابا سهل النوبختي أعمال المبارك وأبا العلاء محمد بن علي البزوفري اعمال الصلح والمزارعات (الصابي ٤٠) • وقد كان المبارك في القديم من كسكر (ياقوت ٤/٤٧٥) ويبدو من كلام الطبري انه يقع بين فم الصلح وجَبّل حيث يقول « ان محمدا وصل فم الصلح ثم ارتحل هو واصحابه حتى نزلوا المبارك فاقاموا به ••• فلما جهم الليل ارتحلوا حتى اتوا جبل فأقاموا بهـا ، ووجه ابنه هارون الى النيل فأقام بها وأقام محمد بجرجرايا » (طبري ٣/١٠٤٤) ويقول الطبري ان الصحارى بن شبيب « شرى بجبل ثم سار حتى اتى المبارك » (طبري ٢/١٦٣٤) ويروى المعافى بن زكريا عن الاصمعي ان خالد القسري أحكم جسر دجلة واستقامله المبارك وولى ابان بن الوليد المبارك (تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٧٧ ـ ٨٠

ذكر المقدسي عند وصفه الطريق بين نهر سابس وواسط المحطات التالية (مطاره والحارله والاسحاقية والمحراقه والحدادية وثرمانه وواسط) ولم اجد في المصادر ذكرا لاى من مطاره والحارله والاسحاقية • اما نرمانه فلعلهـا تحريف بارمانا التي ذكر الطبري ان خالد القسري كان يمتلكها ويغلها (طبري ٢/١٦٥٥) •

وقد ذكر المقدسي ان الجامدة تبعـــد عن المحراقة بريدين ، وان الصليق تبعد عن الحدادية بريدين ، وان الزبيدية تقع بين الحدادية وواسط• والراجح ان كلا من الجامدة والصليق والزبيدية تقـــع غربي دجلـــة ، وقـــد ذكر ابن الساعي « الحداديه من اعمال واسط » (الحوادث الجامعة ١٨٢) •

فاما الزبيديه فان ياقوت يقول انها « قرية بواسط بينها وبينها فرسخان أو ثلاثة (٢/٩١٧) •

ويذكر ابن الفوطي ان الزبيدية على فراسخ من واسط(تلخيص مجمع الالقاب ٦/٣٦٦) ويذكر المقدسي ان ناحية البطائح مدينتها الصليق ولهـا جامدة ، هرار ، الحدادية ، الزبيدية » (ص ٥٣) ولا ريب انه يقصد البطائح الشمالية أو بطيحـة الكوفة التي تفرغ فيها ذنائب الفرات وبزائزه ، ويقول الصابي « اسافل الصلح ضواحي الجامدة » (الوزراء ٣٤) •

ومن المعلوم ان كثيرا من المصادر وخاصة ما يرجع الى القرن الرابع منهـا ميزت بين بطائح الكوفة وبطائح البصرة : فقد اشار الاصطخري الى

سواد البصرة وبطائحها » (١٣ ، ٧٩) كما أشار الى سواد الكوفة وبطائحها (٧٩) •

وذكر ان الطريق من الكوفة الى واسط على طريق البطائح ستة مراحل (٧٩) ومن الواضح ان هذه الاخيرة هي بطائح الكوفة وهي التي أشار المقدسي الى أن مدينتها الصليق (٥٣) ولعلها هي التي وصف أهلها بالعفط (٣٤) وأنهم « نبط لا لسان ولا عقل » (١٢٨) •

غير اننا لا نعلم فيما اذا كانت مياه بطائح الكوفة متصلة ببطائح البصرة الواقعة جنوبي واسط • ومن المعلوم ان كافة المحطات الرئيسة بين واسط والحوانيت تقع شرقي دجلة (رسته ١٨٤) أما غربي دجلة فان معلوماتنا عن المواضع التي فيه حتى القرن الخامس نزرة يسيرة •

الصليق :

لقد ذكرنا ان المقدسي يقول ان « ناحية البطائح مدينتها الصليق » (٥٣) ويقول أيضا ان « الصليق مدينة على بحيرة طولها أربعون فرسخا يتصل ضياعها بسواد الكوفة، شديدة الحر ، كربه بليدة بعد ، مهلك وعيش ضيق ، أدامهم السمك، وماؤهم حميم ، وليلهم عذاب ، وعقلهم سخيف ، ولسانهم قبيح ، مع ملح قليل وكرب عظيم • الا انها معدن الدقيق ، وسلطان رفيق ، وماء غزير ، وسمك خطير ، واسم كبير ، وفي الحرب كل صبور ، وبالنهر كل بصير ، ولهم موضع يشاكل نهر الابلة حسن ، يليها في الكبر الجامدة ، وهما من دجلة على ناحية ، وسائر المدن دونهما ، وهذه البطائح بحيرات ومياه ثم مزارع ، وللعراق منها رفق عظيم (١١٩) •

ويذكر ياقوت ان « الصليق مواضع كانت في بطيحة واسط بينها وبين بغداد ، كانت دار ملك مهذب الدولة أبي نصر المستولي على تلك البلاد ، وقبله لعمران بن شاهين، وقد خربت الآن، وكانت ملجأ لكل خائف ومأوى لكل مطرود ؛ اذا هرب الخائف من بغداد ، وهي دار ملك بني العباس وآل بويه والسلجوقية، من لجأ الى صاحبها فلا سبيل اليه بوجه ولا سبب ولا يمكن استخلاصه بالغلبة أبدا (ياقوت ٣/٤١٥ ، وانظر عن دار مهذب الدولة : الصابي : الوزراء ص ٤٨٠) •

وقد ذكر الخطيب من أهل الصليق محمد بن خلف بن محمد بن سليمان النهر ديري القرتاي (٥/٢٣٥) • وذكر أيضا « الحسن بن أحمد بن ماهان أبو علي الصيني من أهل صينية الحوانيت ، وهي مدينة بين واسط والصليق (٧/٢٨٠) ويبدو ان الخطيب قد خلط بين مكانين يسمى الصينية ، أحدهما قرب الحوانيت وقد تحدثنا عنه ، والآخر قرب الصليق فيقول المعافي بن زكريا في كتاب الانيس الجليس « الصين رستاق من كسكر يقال لأحدهما الصين الأعلى والصين الأسفل ، قال المفجع البصري في المنقذ الصين موضعان بكسكر أحدهما أعلى والآخر أسفل الصينية ، يقال لها صينية الحوانيت •

الجامدة :

أما الجامدة فان ياقوت يقول انها « من قرى واسط (٤/٢١٧) وانها قرية جامعة من أعمال واسط بينها وبين البصرة رأيتها غير مرة (٢/١٠) كما يذكر ابن الدبيثي في ترجمة سعد الجامدي ان الجامدة « قرية من البطائح وسواد واسط

(٢/٧٠) ، وقد ذكرنا أعلاه قول المقدسي انها تلي الصليق في الكبر ، وانها بأسافل الصلح ، وكان فيها ضياع للسلطان (الوزراء للصابي ٤٠)

ومن أعمال الجامدة البربوني (مسكويه ٢/١٢٣ ، ٤٠٩) .

اشتهرت الجامدة بعمران بن شاهين وهو من أهلها ، فقد عصى بالجامدة وقوى أمره واتفق مع البريدي فزادت قوته وكثر أصحابه وغلب على تلك النواحي وصد الحملات التي أرسلها البويهيون ضده (تجارب الامم ٢/١١٩ تكملة تاريخ الطبري ١٦٢) وقد حاول معز الدولة عبثا اخضاعه ، وظلت علاقته بالبويهيين سيئة (تجارب الامم ٢/٢٣١ ، ٢٩٤) الى أن جاء بختيار فتحسنت العلاقة بينهما سنة ٣٦٦ (تجارب الامم ٢/٣٧٠) ولما مات عمران خلفه في مكانه ابنه الحسن ، فحاول عضد الدولة اخضاعه وأرسل ضده حملة « فتقرر الأمر على تدبير فاسد كان قد جربه من درج قبله مرارا فلم ينتفع به ، وهو ايقاع السدود على أفواه الانهار لتنشف البطيحة التي يلجأ اليها عسكر النبط وانشاء مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معاقلهم ، فاطلقت في ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك في دجلة وبطل ارتفاع الكار ، ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال ، وجاءت المدود فحملت على السدود وتوصل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبثقها فامتلأت البطائح بالمياه ، وكان المطهر اذا سد جانبا انثلمت عليه جوانب ، واذا حفظ وجها أتاه الخلل من وجوه (تجارب الامم ٢/٤٠٩) وقد اضطر عضد الدولة بعد هذه المقاومة الناجحة أن يوادع الحسن (تجارب الامم ٢/٤١١) .

وفي سنة ٣٧٦ كان أمير المبطيحة أبا القاسم المظفر بن علي الملقب بالموفق ، فلما توفي في تلك السنة وليها من بعده أبو الحسن علي بن نصر الذي لقب مهذب الدولة وقد تحسنت علاقته بالبويهيين « وصارت البطيحة معقلا لكل من حضرها من الاطراف واتخذها الأكابر وطنا فبنوا فيها الدور وشيدوا فيها القصور وقصدها المسترفد والشعراء من كل صوب » .. وقد اكتسبت هذه الدويلة مكانة كبيرة حتى ان القادر بالله لجأ اليها (ذيل مسكويه ٣/٣٤) .

وقد أنشأ مهذب الدولة فيها مدينة المنصورة، ولكنها «خربت رسومها باقية» (ياقوت ٤/٦٦٤).

وفي سنة ٤٦٥ كان أمير البطيحة أبو نصر ابن الهيثم ، وقد وثب عليه الجند « وخالفوا عليه فهرب منهم ، وخرج من ملكه والذخائر والاموال التي جمعها في المدة الطويلة ولم يصحبه عن ذلك جميعه شيء » (ابن الاثير ١٠/٣٧) .

وفي سنة ٥٥١ قتل مظفر بن حماد بن أبي الخير صاحب البطيحة .

ويذكر ابن الدبيثي ان محمد بن أحمد بن امسيناه «أصله من الجامدة احدى قرى البطائح» (٢/٢٠ أ وأنظر تلخيص مجمع الالقاب ٣/٢٢٧-٤) .

١ ـ تحول مجرى نهر دجلة والبطائح

لم تكن للمنطقة الواقعة في شرقي واسط ، وهي التي تشمل معظم لوائي ميسان وواسط الحاليين ، دور كبير في أحداث التاريخ الاسلامي

وذلك راجع الى ما أصابها من انحطاط على اثر تبدل مجرى دجلة قبيل الفتح الاسلامي • وقد أوردت المصادر الاسلامية عن هذا التبدل ما يلقي ضوءا على أوضاع هذه المنطقة ، فيروي البلاذري عن جماعة من أهل العلم « وكانت دجلة تصب الى دجلة البصرة التي تدعى العوراء في أنهار متشعبة من عمود مجراها الذي كان باقي مائها يجرى فيه ، وهو كبعض تلك الأنهار ، فلما كان زمان قباذ بن فيروز انبثق في أسافل كسكر بثق عظيم فاغفل حتى غلب ماؤه وغرّق كثيرا من أرضين عامرة ، وكان قباذ واهنا قليل التفقد لأمره • فلما ولى إنو شروان ابنه ، أمر بذلك الماء فردم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين الى عمارة •

ثم لما كانت السنة التي بعث فيها رسول الله (ص) عبدالله بن حذافة السهمي الى كسرى ابرويز ، وهي سنة سبع من الهجرة ، ويقال سنة ست ، زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها ، وانبثقت بثوق عظام ، فجهد أبرويز أن يسكرها فغلبه الماء ومال الى موضع البطائح فطغا على العمارات والزروع ، فغرق عدة طساسيج كانت هناك وركب كسرى بنفسه لسد تلك البثوق، ونثر الأموال على الانطاع وقتل الفعلة بالكفاية، وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسارا في يوم ، فلم يقدر للماء على حيلة » (فتوح البلدان ٢٩١–٢٩٢ قدامه ٢٤٠) •

ويقول أيضا « وكان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب وكان طريق البريد الى ميسان ودستميسان والى الاهواز في شقه القبلي، فلما تبطحت البطائح سمي ما استأجم من شق طريق البريد آجام البريد ، وسمي الشق الآخر آجام اغمربتي ، ومعنى ذلك الآجام الكبرى ، والنهر اليوم يظهر في الأرضين الجامدة التي استخرجت حديثا » (فتوح ٢٩٢ قدامه ٢٤٠ ياقوت ١/٥٨) •

ويقول المسعودي « وكان السواد يعد في أيام الفرس اثنتى عشرة كورة •• ثم تغير ذلك على مر الأيام لانخراق دجلة وخروجها عن عمودها ، وكان مجراها في جوخي ، وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت بطائح الى هذا الوقت مسيرة أيام وذلك بين واسط والبصرة ، واسمها في هذا الوقت في ديوان السلطان آجام البريد وأخراب جوخى ، وكانت أعمر السواد » (التنبيه والاشراف ٣٦ – ٧) •

ويقول أيضا « وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك في أيام كسرى ابرويز ملك فارس، وكان مجراها في جوخى، وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر حتى صارت بطائح على ما قدمنا، وآثار عمود دجلة الى وقتنا هذا بين فم الصلح وبهندف وبادرايا وباكسايا وفامية العراق الى بلاد باذبين ودبربي وقرقوب والطيب وشابرزان والدرمكان الى نهر جور والى المذار (التنبيه والاشراف ٤٨) •

ويقول أيضا (وكتنقل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن جوخى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دنوقاء الى نحو بلاد السوس (مروج الذهب ١/١٠٤) •

ويروي ياقوت عن الموبـــذان انه قال في حضرة الحسن بن سهل « إن واسطا كانت في أيام دارا بن دارا تسمى افرونية ، ولم تكن على شاطىء دجلة ، وكانت دجلة تجري على سننها في بطن جوخى ، فانبثقت في أيام بهرام جـــور وزالت عن مجراها الى المذار ، وصارت تجري الى جانب واسط ، فغرقت القرى والعمارات التي كانت موضـع البطـائح وكانت متصلة بالبادية » (١/٦٦٩) .

ويقول ابن رسته (وأما دجلة العوراء فانها كانت قبل الاسلام تستقيم من عند المـذار وهي اليوم منقطعة من ثم ، تمر بعبدسي من كور دست ميسان ثم تخرج عند الخيزرانية فوق فم الصلح بحضرة واسط فتمر حتى تأتي المـدائن .. ثم انها خرقت الارض حتى مرت بين يدي واسط قبل أن تكون واسط حتى صبت ماءها في هـــذه البطائح ، والبطائح يومئذ أرضون تزرع متصلة بأرض العرب ، جيرانها من العرب يشكر وباهله وبنو عنبر ، متصلة بناحية ميسان بأرض ميسان ، فغلب المـاء على ما كان من الارضـين منخفضا ، وما كان منها مرتفعا صار تلالا ، فتلك المواضـع معروفة اليوم في البطـــائح ، تسمى سرطغـان وطستخان وعقر الصيد من المواضع التي يكون فيها الزط .

وقد ترى آثار في بطن البطائح تحت الماء ، وذلك لركود الماء وصفائه فيعلم انها كانت أرضين .

وكانت البطائح الاولى التي كان يجتمع فيها ماء دجلة قبل تحولها الى ناحية واسط جوخى فيما بين المذار وعبدسى ، فلما تحولت دجلـــة انقطع الماء عنها وصارت صحارى ومفاوز يصيب آثاره فيها في الصيف سموم شديد .

ثم ان دجلة هذه التي هي اليوم سكرت من عند الخيزرانية ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى بقيـة دجلة العوراء فخرقت وأنفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما ، فأعياه ذلك ، وجرت دجلة في موضعها الذي هو اليوم بين يدي واسط ، فاعورت دجلة من ذلك الموضع المكور الى المذار وبطلت تلك البطائح التي كانت بجوخى فبقي من دجلة ، دجلة العوراء ، من المذار الى بحر الهند ، وذلك في مقدار ثلاثين فرسخا وهي دجلة البصرة واليه ينتهي مد البحر ومنه يجزر اذا رجع الماء الى البحر .

ورام بعد ذلك خالد بن عبدالله أن يسكرها وأنفق الاموال فسفت دجلة ذلك البنيان وأصله اليوم يرى اذا قل الماء في دجلة بناء من آجر صاروج وربما طفت به السفن المارة » (الاعلاق النفيسة ٩٤ ــ ٦) .

وقد كان للفتح الاسلامي تأثير في أحـوال الري من العراق ، فيقول البلاذري : « ثم دخلت العرب أرض العراق وشغلت الأعاجم بالحروب ، فكانت البثوق تنفجـر فلا يلتفت اليهـــا ويعجز الدهاقين عن سد عظمها فاتسعت البطيحة وعرضت (فتوح البلدان ٤١٦ انظر أيضا كتاب الخراج لقدامه ص ١٤٠) . ويقول البلاذري أيضا : « ثم كان مد في أيام محاربة المسلمين الأعـاجم وبثوق لم يعن أحد بســـدها فاتسعت البطيحة لذلك وعظمت (فتوح ٢٩٢) . ان النص الاول يظهر ان الدهاقين عجزوا عن سد البثوق الكبرى

التي يحتاج سدها الى امكانيات مادية كبيرة ، وهذا يعني ضمنا انهم نجحوا في سد البثوق الصغرى .

ولاريب في ان حدوث البثوق على اثر الفتوح الاسلامية هو أمر منتظر لأن معظم موظفي الري من الساسانيين أو مؤيديهم ، ولم يكن للعرب اطلاع واسع على شؤون الري الدقيقة، ولعلهم لم يدركوا أثرها الكبير على الزراعة والاعمار ، لأن الضرائب التي فرضوها كانت ثابتة وتبعا لمساحة الارض ، لذلك كان نقص الانتاج يؤثر في دخل الفلاحين وليس في مدخول الدولة، ولابد أن نشير الى تطورات أخرى رافقت الفتح الاسلامي ، منها تدمير بعض البلدان والقرى وتشتت عدد من الملاكين الفرس مما أدى الى تفكك النظام الاقطاعي الجامد الذي كان الساسانيون قد رسموه في البلاد وخاصة منذ عهد انو شروان .

ولا ريب في ان هذه التبدلات كانت عامة ولكننا نعتقد ان منطقة واسط ، وخاصة القسم الشرقي منها ، أصابها منه أكثر من غيرها ، لأن فيها مغايض الانهار والترع ولان أرضها رخوة مستوية فيها منخفضات غير قليلة تعرض الانهار والترع الى التبدل وتسهل حدوث البثوق .

غير ان العرب سرعان ما أدركوا أهمية الري والزراعة في اعمار البلاد وفي جلب الثروات وخاصة في العراق ، فابتدأوا باستملاك المزارع والعمل على شق الترع وتجفيف المستنقعات واحياء الاراضي في عدة مناطق من العراق . وقد ذكرت الكتب التاريخية بعض المزارع والقرى التي امتلكها العرب وأشارت الى بعض الترع التي حفرت والاراضي التي اعتملت . ولاريب في ان بعضها في منطقة الكوفة والبصرة ، ولكن معظمها فيما نعتقد كان في منطقة واسط .

لقد ذكر البلاذري احياء البطائح في العصر الاسلامي فقال « فلما ولي معاوية بن أبي سفيان ولي عبدالله بن دراج مولاه خراج العراق ، واستخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت قيمته خمسة آلاف ألف وذلك انه قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات) (فتوح ٢٩١ قدامة ٢٤٠) ويروي البلاذري عن أبي مسعود الكوفي أيضا (وقد كان بنو أمية استخرجوا بعض أراضيها (البطيحة) فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقا انفجرت فلم يعان الحجاج سدها مضارة للدهاقين لانه كان أتهمهم بمسالاة ابن الاشعث حين خرج عليه (فتوح ٣١٢) .

وقد أورد البلاذري نصا يساعد على تعيين مواقع المنطقة التي أحياها معاوية والتي لايحددها النص السابق ، فهو يقول عن أبي مسعود عن عوانه « انبثقت البثوق أيام الحجاج فكتب الحجاج الى الوليد بن عبدالملك يعلمه انه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم فاستكثرها الوليد فقال له مسلمة بن عبدالملك أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف درهم يتولى انفاقها تقتك ونصيحتك الحجاج فأجابه الى ذلك فحصلت له أرضون من طساسيج متصلة فحفر السيبين وتألف الأكرة والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس اليها فاضياعا كثيرة (فتوح ٢٩٣ انظر أيضا قدامة ٢٤١) .

يتبين من هذا النص ان الاحياء جرى في

منطقة السيبين وما حولها ولا بد ان منطقة واسط أصابها كثير من هذا الاعمار •

يقول البلاذري أنه (أتى الحجاج بخلق من زط السند واصناف ممن بها من الامم معهم اهلوهم واولادهم وجواميسهم فاسكنوهم باسافل كسكر) (فتوح ٣٧٥) • (وكان محمد بن القاسم الثقفي عامل الحجاج على السند ، بعث منها بالوف جواميس ، فبعث الحجاج الى الوليد منها بما بعث من الأربعة آلاف والقي باقيها في آجام كسكر ولما خلع يزيد بن المهلب فقتل وقبض يزيد بن عبدالملك اموال بني المهلب اصاب لهم اربعة الاف جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر فوجه بها يزيد بن عبدالملك الى المصيصة أيضا مع زطها (فتوح ١٦٨) •

ومن المعروف ان الحجاج احيا نهر الصين (فتوح ٢٩٠) بالاضافة الى حفر النيل والزوابي والسيب •

٦ـ الاماكن من الاقسام الشرقية :

تلقي طرق المواصلات ومحطاتها ضوءا على الاماكن الموجودة شرقي واسط ، ويتبين مما تذكره المصادر ثلاثة خطوط مواصلات رئيسية تبدأ من باذبين : يسير أحدها الى عبدسى فالمذار فالبصرة ، ويسير الثاني الى نهر تيرى فالاهواز ، ويسير الثالث الى السوس •

فاما الطريق من واسط الى البصرة فيذكر الاصطخري ان الطريق اليه ثمانية مراحل وان الطريق الذي يسلك البطائح ست مراحل (المسالك ٧٦) •

ويقول ابن خرداذبه :

« وسكك الطريق العادل من باذبين الى البصرة فيه فيوج مرتبون •

ومن باذبين الى عبدسى خمس سكك

ومن عبدسى الى سكة المذار ثماني سكك

ومن المذار الى البصرة ، وكانت فيها دواب للبريد ، ثلاث سكك (المسالك ٢٢٦) •

لم يذكر بقية الجغرافيين هذا الطريق ، غير ان في اخبار المذار في الاحداث السياسية والحربية ما يشير الى طروقه ، فيروى سيف بن عمر أن خالد بن الوليد لما قدم العراق قام ببعض الحركات العسكرية في منطقة البصرة ، ثم تحرك منها الى المذار فمنطقة الكوفة (طبري ١/٢٠٢٦–٩) ومع ان أخبار سلوك خالد بالذات هذا الطريق مشكوك فيها ، الا انها تعكس استعمال الناس له في العهود الاولى •

وقد سلك هذا الطريق أيضا الجيش الذي أرسله المختار بقيادة أحمر بن شميط لمقاتلة مصعب بن الزبير ، وقد تغلب المصعب على هذا الجيش في معركة عند المذار (طبري ٢/٧٢١ – ٣ أنساب الاشراف ٥/٢٥٣ ، ٢٧٣ ، ٢٥٨) • وقد ذكر الجاحظ « الحمير وعليها الرجال فيما بين عبدسى والمذار» (الحيوان٣/٣٥٣) ويذكر اليعقوبي طريقا يمر من واسط الى نهر ابان فعبدسي فالمذار (البلدان ٣٢٢) وقد مر بالمذار بعض الخوارج (طبري ١/٣٤٢٤ ، ٢/٤٤) •

ولما ثار الزنج تقدموا اليها فساروا من السيب الى قرية اليهود الشارعة على دجلة ثم الى بامداد ثم الى جبل الشياطين ، ثم عادوا قبل

الوصول اليها (طبري ٣/١٧٥٥) وكان الجبائي من قواد الزنج ، يوقع بالقرى التي من نواحي المذار ثم يعود الى نهر المرأه (طبري ٣/١٨٩٩) وقد انهزم الشعراني اليها (طبري ٣/١٩٦٥) .

وكانت في المذار معارك بين البريديين وقوات الخلافة العباسية (الصولي أخبار الراضي والمتقي (١٩٥ ـ ٦ ، ٢٤٩ تكملة تاريخ الطبري ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ التنبيه والاشراف ٤٨ ، الاعلاق النفيسة ١٤) .

يذكر الاصطخري ان المذار على شط دجلة ، صغيرة عامرة (٨١) ويشير الجاحظ الى انها قد اشتهرت بجرارها (البخلاء ٣٨ وانظر أيضا ديوان البحتري ٢/٣١٦ طبعة هندية) .

فاما عبدسي فان الطبري يذكر انها من كور دجلة (٣/١٩٤٧) ويذكر ياقوت انها من نواحي كسكر (٤/٢٧٥) وان (عبدسي اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة (٣/٦٠٣) ويذكر الاصطخري ان البصرة لها نخيل متصلة من عبدسي الى عبادان نيف وخمسون فرسخا متصلا لا يكون الانسان منه الا بحيث نهر ونخيل (٨٠) والواقع ان المصادر تذكر عبدسي ، ولكنها لا تشير الى طبيعتها ، فبالاضافة الى ما ذكره قدامة والجاحظ واليعقوبي ، فان الطبري قد ذكرها عند كلامه عن عدة حوادث : فقد مر بها ابراهيم بن عبدالله (٣/٢٨٦) كما مر بها ابو السرايا في طريقه من واسط الى السوس (٣/٩٨٥) وكانت فيها قوة للزنج ابان ثورتهم (٣/١٩٥٧) ويذكر صاحب حدود العالم ان عبدسي ونيم روذ رستاقان عامران فيهما كثير من التمر (١٣٨) .

وفي وصف الطبري لسير ابي العباس بن الموفق في مطاردته الزنج ، ما يبين موقعها وما حولها من الاماكن ، فهو يذكر ان ابا العباس سار (حتى انتهى مسيره الى بسامي ، ثم الى فوهة براطق ونهر الرق والنهر الذي ينفذ الى زاوطا وعبدسي ، وهذه الانهر الثلاثة تؤدي الى ثلاث طرق متفرقة) (٣/١٩٥٨) . ويذكر ابن رسته ان دجلة العوراء « كانت قبل الاسلام تستقيم من عند المذار ، وهي اليوم منقطعة ، من ثم تمر بعبدسي من كور دست ميسان ، ثم تخرج عند الخيزرانية (٤٩) ، وهذا يدل على ان عبدسي كانت على مجرى دجلة الساساني ، وانها ليست على دجلة العوراء .

أما الطريق الثاني من منطقة واسط فهو الذي يربطها بسوق الاهواز ، وقد ورد ذكره في عدد من كتب المسالك .

فذكر ابن خرداذبه ان (ما بين واسط وحد سوق الاهواز عشرون سكه) (٤٢) وذكر قدامه « من مدينة السلام الى المدائن ثلاث سكك ، ومن المدائن الى جرجرايا ثمان سكك ومن جرجرايا الى سكة جبل خمس سكك ومن جبل الى مدينة واسط ، وسكتها أول عمل كورة دجلة ، ثماني سكك ، ومن سكة الروذمة وهي أول كورة دجلة مما يلي واسط الى سكة باذبين ثلاث سكك ، ومن سكة باذبين الى دير مابنه ، آخر عمل كورة دجلة مما يلي عمل الاهواز ١٣ سكة ، ومن دير مابنه الى نهر تيرين أربع سكك ، ومن نهر تيرين الى سوق الاهواز ثلاث

سكك » (كتاب الخراج ٢٢٥) •

ان عدد السكك التي ذكرها قدامة تبلغ ٢٣ وهو قريب مما ذكره ابن خرداذبه • وقد ذكر قدامة عددا من محطات هذا الطريق ، ولكن في نصه غموض ، حيث انه ذكر السكك من جبّل الى واسط ، ثم من المرومه الى باذبين ، ولم يذكر علاقة واسط بالمرومه التي لم تشر اليها بقيـة المصادر • ثم ان قدامه ذكر ان السكه التي بين جبّل وواسط هي أول كورة دجلة ، وان سكة المرومه هي أول كورة دجلة ، وان ديرمابنه هي آخر عمل كورة دجلة مما يلي عمل الاهواز ، وبذلك اعتبر كورة دجلة ما بين واسط الى دير مابنـــه ، ومع ان تحديده عام ، الا ان المصادر الاخرى لم تشر اليه ، ومن الطبيعي انه لا يقصد بها كور دجلة المعروفة التي لا تمتد الى هذا البعد •

لم تذكر بقية المصادر المرومه ، ودير مابنه ، مما قـد يدل على انهـا أماكن كانت مندثرة في العهود الاسلامية ، او ان هذه الاسماء محرفة من اصل لا نعرفه •

لقد ذكر ابن رسته الطرق التي تتفرع من واسط بتفصيل وافـ ، فقال :

« الطريق من واسط الى سوق الاهواز :

من واسط الى باذبين ٥ فراسخ ، ومنه الى دير المخراق ٨ فراسخ ، ومنه الى سماوة ٨ فراسخ ، ومنه الى قرية الاعراب ٦ فراسخ ، ومنه الى نهر تيرين ٨ فراسخ ، ومنـــه الى سوق الاهواز ٩ فراسخ •

وطريق آخر من باذبين الى نهر تيرين •

من باذبين الى آتش كاه ٥ فراسخ ، ثم الى ظلمـــاثا ١٠ فراسخ ، ثم الى قرية الاعراب ٨ فراسخ ، ثم الى نهر تيرين ٨ فراسخ • وآخر عمل نهر تيرين يتصل بأول عمل كور دجلة (١٨٧) •

لقـــد ذكر ابن رسته المسافات بالفراسخ ، وليس بالسكك كما فعل ابن خرداذبه وقدامه ، كما انه ذكر طريقين بين باذبين ونهر تيرين ، طول كل منهما حوالي ثلاثين فرسخا والطريقان يفترقان في البداية ثم يتلاقيان بعد قرية الاعراب •

وقد ذكر ابن رسته محطات هذا الطريق ، وهي دير المخراق ، والسماوة ، وآتش كاه ، وظلماثا ، ثم قرية الاعراب • ولم تشر المصادر الى آتش كاه وظلماثا ، اما دير المخراق فيذكر ياقوت انه « من اعمال خوزستان » (٢/٦٩٥) •

أما قرية الاعـراب فلم تشر المصـادر اليها في هـــذه المنطقة ، ومن المؤكـــد انهـــا غير القرية المسماة بهذا الاسم والتي تقع على فراسخ من قصر ابن هبيرة (طبري ٣/١٨٠١) بقرب كوثي (طبري ٣/٨٥٨) أي انها على الطريق بين بغداد والكوفة (البخلاء ١٤) •

اما الطـــريق الثالث الذي بين واســـط والسوس ، فقد وصفته بعض المصادر :

فقد ذكـر الاصطخري « من السوس الى قرقـــوب مرحلـــة ، ومـــن قرقـــوب الى الطيب مرحلـــة ويتصـــل بعمـــل واســـط ، ومن السكر الى واسط طريق أخصر من هـذا فلا تدخل كسكر (٩٦) ويذكر المقدسي أيضا من السوس الى قرقوب مرحلة ، ومن قرقوب الى الطيب مرحلة (٤١٩) ووصف ابن رسته هذا الطريق الذي هو جزء من الطريق الذي يسلك

الى ارجان فقال (وصف الطريق من باذبين الى ارجان وهي أول عمل فارس :

من باذبين الى السكر ٣ فراسخ ، ومنه الى ديرى ٧ فراسخ ، ومن ديري الى الطيب ٨ فراسخ ، ومن الطيب الى قرقوب ٨ فراسخ ، ومن قرقوب الى السوس ٥ فراسخ (١٨٨) •

ويبدو ان هذا الطريق كان اكثر طروقا ، فيذكر الطبري عن تقدم الموفق ابان ثورة الزنج من واسط الى الاهواز ، « ارتحل ابو احمد من واسط شاخصا الى الاهواز وكورها فنزل باذبين ، ثم جوخي ، ثم الطيب ، ثم قرقوب ، ثم درستان ، ثم على وادي السوس •• ثم سار حتى وافى السوس (٣/١٩٧٤) •

ونستنتج من نص أورده المسعودي ان هذا الطـــريق كان يسلك مجرى دجلة في العهـــد الساساني ، حيث ان المسعودي يقول ان دجلـة انذاك كان يســـير الى (بهنـــدف ، وبادرايا ، وباكسايا ، وفامية العـــراق ، الى بلاد باذبين ، ودبربي ، وقرقـــوب ، والطيب ، وشابرزان ، والدرمكان الى نهر جور والى المذار) (التنبيه ٤٨) •

ان اشتراك كثير من الاسماء التي وردت في نصوص كل من المسعودي والطبري وابن رسته دليل على انهم متفقون على وصف طريق واحد ، وان نص المسعودي قد يدل على ان هذا الطريق هو الطريق القديم الذي كان مسلوكا ومزدهرا منذ العهد الساساني ، وانه ربما كان نفس ما اشار اليه البلاذري باسم « شق طريق البريد » (فتـــوح ٢٩٢) •

غير انه اذا اخذنا نص المسعودي بخرفيته ، فيكون مجرى دجلة في العصر الساساني كان يقع شرقي مجراه الحالي •

ومما له علاقة بهذا الطريق ما ذكره المقدسي عن شرقي واسط حيث يقول (وأما واسط فمن مدنها فم الصلح ، درمكان ، قراقبه ، سياده ، باذبين ، السكر ، الطيب ، قرقوب ، قرية الرمل نهر تيرى ، لهبان ، بساميه ، اودسة) (١١٤) ويذكر ايضا ان « سائر مدنها صغار ومختلفة ، اعمرها الطيب وقرقوب ، الا ان ناحيتها جيدة » (١١٨) •

لقد ذكر المقدسي من مدن واسط خمسة من التي ذكر ابن رسته انها تقع على هـذا الطريق وهي باذبين ، والسكر ، والطيب ، وقرقوب ، ونهر تيرى ، بالاضافة الى قرية الرمل التي ذكر ابن رسته انها تقع على طريق سوق الاهواز • كما ان المقدسي ذكر الاماكن التي اشار الى انها على هذا الطريق ما عدا جوخي وذكر درمكان بدل درستان • وقد ذكر كل الاماكن التي ذكرها المسعودي ما عدا شابرزان • وقد انفرد المقدسي بذكر سياده ، قراقبه ، لهبان ، بساميه ، اودسه ، التي ليست لدينـــا في المصادر الاخـــرى ما يبين موضعها •

ويلاحظ ان المقدسي لم يذكـــر من مدن واسط ما كان يقع على دجلة مما فصلته المصادر الاخرى ، فكأن منطقة واسط في رأيه تتكون من المنطقة الواقعة شرقي مجرى دجلة من العصر الاسلامي ، أي المنطقة التي تقع على المجرى القديم لدجلة في العصر الساساني • وان ما ذكره المقدسي

عن منطقة واسط ينسجم مع ما ذكره قدامه عن كورة دجلة ؛ غير ان المقدسي ثم يذكر لاي منطقة او اقليم أو كورة كانت تتبع المدن والبلدان الواقعة على مجرى دجلة الاسلامي الغربي •

باذبين

يتبين من النصوص المتقدمة ان باذبين هي المحطة الاولى الرئيسة للطرق التي تربط واسط بالمدن والاقاليم الجنوبية ، سواء منها البصرة (قدامة ٢٢٦) أو سوق الاهواز (قدامة ٢٢٥ ابن رسته ١٨٧) أو السوس (ابن رسته ١٨٨) الطبري ١٩٧٤/٣ وأنظر أيضا التنبيه والاشراف ٤٨ المقدسي ١١٨) •

لقد اشارت المصادر العربية الى باذبين بما يدل على قدمها وجودها ، فقد ذكر الجهشياري انه كان يكتب لمصعب بن الزبير على الخراج سابزاد صاحب باذبين (الوزراء والكتاب ٤٤) ، وذكر الطبري ان قتيبة بن مسلم الباهلي لما بعث برأس نيزك مع محصن بن جزء الكلابي قال سوار

نشدتك هل يسرك ان سرجي
وسرجك فوق أبغل باذبين

(طبري ١٢٢٤/٢) ويدل هذا البيت على ان باذبين كانت من مراكز البريد المهمة منذ العصر الاموي على الاقل •

وقد تردد ذكر باذبين في احداث القرنين الثالث والرابع مما يدل على تزايد اهميتها ، فلما تقدم يعقوب بن الليث الصفار ضد المعتمد ، سار من عسكر مكرم حتى صار قريبا من واسط ، فصادف هناك بثقا فاقام عليه حتى سده وعبره وصار الى باذبين •• ووافى يعقوب واسطا ، (طبري ٣ ، ١٨٨٣) •

ولما ارتحل أبو أحمد الموفق ابان قتاله الزنج ، من واسط الى الاهواز « نزل باذبين ، ثم جوخي ، ثم الطيب ، ثم قرقوب ، ثم درستان ، ثم على وادي السوس » (طبري ١٩٧٤/٣) •

ولما خرج الراضي وابن رائق من بغداد الى واسط متجهين نحو الاهواز لدفع البريدي عنها « اخرجت المضارب الى باذبين » (تجارب الامم ٢٥٨/١ وانظر أيضا تكملة الطبري للهمذاني ٩٩) •

ولما أراد عضدالدولة التقدم الى بغداد ، أرسل ركن الدولة جيشا لصده ، وكان جيش عضدالدولة قلقا « وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا الى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذبين ، وان يجعلوا النهر وراءهم على المدينة والميره ، وان يتركونا حتى نقصد اليهم مفازة بنج وبنج (؟) ونلقاهم على اعياء وملل وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما نتزل عليه (تجارب الامم ٣٣٨/٢ وانظر ايضا تكملة الطبري ٢١٨) •

لقد كان مجرى دجلة في العصر السلجوقي يمر •• (الى بلاد باذبين) (التنبيه والاشراف ٤٨)وهي تبعد عن واسط خمسة فراسخ (ابن رسته ٢٢٦ وأنظر أيضا طبري ١٨٩٣/٣) •

يذكر المقدسي ان باذبين من مدن واسط (١١٤) وهو يعتبرها ضمن المدن الصغار المختلفة (١١٨) اما ياقوت فيقول ان (باذبين قرية كبيرة كالبلدة تحت واسط على ضفة دجلة ، منها جماعة

من التجار المثريين ، ومنها جماعة من رواة العلم منهم ابو الرضي أحمد بن مسعود بن الزقطر الباذبيني ، سمع من أبي البركات يحي بن عبدالرحمن حبيش الفارقي قاضي المارستان توفي سنة ٥٩٢) (١/٤٦٠) ولا ريب في ان وجود التجار فيها يرجع الى اهمية موقعها والى خصوبة منطقتها .

الطيب

يذكر ابن رسته انه « من باذبين الى السكر ٣ فراسخ ، ومنه الى ديرى ٧ فراسخ ، ومن ديرى الى الطيب ٨ فراسخ) (١٨٨) أي ان الطيب تبعد عن باذبين ثمانية عشر فرسخا ، ويذكر ياقوت أيضا ان الطيب تبعد عن باذبين ثمانية عشر فرسخا عن واسط (٣/٥٦٦) وهي تعادل ١٠٨ كم .

لم أجد في المصادر ذكرا للسكر الا عند المقدسي الذي قال انها من مدن واسط (١١٤) .

اما ديرى فلعلها هي التي سماها المسعودي دبربي حيث قال ان مجرى دجلة في العهد الساساني « الى بلاد باذبين ودبربي وقرقوب والطيب » (التنبيه والاشراف ٤٨) .

اما الطيب فيذكر الاصطخري ان عرض العراق بواسط «من واسط الى قرب الطيب» وهو يعتبرها وقرقوب من مدن الاهواز (٧٩) ويقول في ذكره طرق خوزستان « تستر ، جنديسابور ، السوس ، قرقوب ، الطيب ، ويتصل بعمل واسط (٩٦) .

وذكر المقدسي ان الطيب من مدن واسط (١١٤) وانها من اعمرها (١١٨) ، ومن مظاهر اعتباره اياها من واسط ، وليس من الاهواز ، انه عند كلامه عن طريق الاهواز ذكر « تأخذ من السوس الى قرقوب مرحلة ثم الى الطيب مرحلة »(٤١٨) .

وذكر ياقوت ان (الطيب بليدة بين واسط وخوزستان ، واهل نبط الى الآن .. والطيب متوسط بين واسط وخوزستان ، وبينها وبين كل واحدة منهما ثمانية عشر فرسخا (٣/٥٦٦) .

ويذكر الاصطخري انه (تتخذ بالطيب تكك تشبه الارمني ، قيل ما تتخذ في مكان من الاسلام بعد ارمينية أحسن منها فيما علمته) (٩٤) ويذكر مؤلف حدود العالم ان الطيب (مدينة مزدهرة عامرة تتخذ بها تكك جيدة تشبه الارمينية) (١٣١) .

وقد ذكر الطبري ان الطيب كبسها ابن زيدويه سنة ٢٦٢ (٣/١٩٠٧) كما هاجمها فيما بعد وصيف (٣/٢١٢٣) .

والطيب موجود مكانها اليوم ، ويجرى عنده حفر ابار النفط التي تقوم بها شركة النفط العراقية بالتعاون مع شركة ايراب .

قرقوب

اما قرقوب فيذكر ياقوت انها (بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والاهواز وكانت تعد من اعمال كسكر) (٤/٦٥ ، ٢٧٥) ، ويقول صاحب حدود العالم ان قرقوب مدينة صغيرة عامرة تنتج الفرش السوسنجردى) (١٣١) اما الاصطخري فيذكر ان بقرقوب السوسنجردي الذي يحمل الى الآفاق وبها وبالسوس طراز للسلطان) (٩٣) .

وقد ذكر الاصطخري (٩٦) والمقدسي

(٤١٩) ان بين الطيب وقرقوب مرحلة • وذكر ابن رسته (١٨٨) انّ من الطّيب الى قرقوب ثمانية فراسخ ، ومن قرقوب الىالسوس ثمانية فراسخ• أما كتاب العزيزي فيذكر ان قرقوب بينها وبين الطيب سبعة فراسخ ، وبينها وبين السّوس عشرة فراسخ (صبح الأعشى ٤/٣٤١) •

وقد ذكر الاصبهاني (قرية لبني الهجيم يقال لها قرقوب على فرسخ من قصبة الاهواز) (مقاتل الطالبيين ٣٢٦) وهي بلاشك غير المكان الذي نبحثه هنا

واكمالا للبحث نذكر ان الشابرزان التي ذكرها المسعودي (تنبيه ٤٨) قال عنها ياقوت انها « بليدة بقرب الطيب بين واسط وخوزستان والبصرة ، (٣/٢٢٥) •

أما الدرمكان فلم أجد لها ذكرا فيالمصادر•

جوخي

عند الكلام عن تحول مجرى دجلة وتكون البطائح في أواخر العصر الساساني ، اوردنا عددا من النصوص التي تذكر ان دجلة في العصر الساساني كان يجرى في جوخى ، فقد نقل ياقوت عن المؤبذان في زمن المأمون انه قال « كانت دجلة تجري على سننها في ناحية بطن جوخى ، فانبثقت في أيام بهراد جور ، فزالت عن مجراها الى المذار ، وصارت الى جانب واسط » (١/٦٦٩) وذكر المسعودي « انخراق دجلة وخروجها عن عمودها ، وكان مجراها في جوخى ، وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره ، حتى صارت بطائح الى هذا الوقت ، مسيرة ايام ، وذلك بين واسط وانبصرة ، واسمها في ديوان السلطان آجام البريد واخراب جوخى ، وكانت اعمر السواد (التنبيه والاشراف ٣٦ – ٣٧) ويقول في مكان آخر « وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار سبب انخراق دجلة عن عمودها ، وذلك في أيام كسرى ابروين ملك فارس ، وكان مجراها في جوخى ، وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره ، حتى صارت البطائح على ما قدمنا ، وآثار عمود دجلة الى وقتنا هذا بين فم الصلح وبهندف وبادرايا وباكسايا وقامية العراق الى بلاد باذبين ودبربى وقرقوب والطيب وشابرزان والدرمكان الى نهر جور وانذار » (التنبيه والاشراف ٤٨) •

يتبين من هذه النصوص ان جوخى تقع عند مجرى دجلة في العصر الساساني ، وهو شرقي مجراه الذي يمر بواسط في العصر الاسلامي ؛ أي انمجراه فيالعصر الساساني هو شرقي مجراه الحالي ، وبذلك تكون جوخى في شرقي واسط •

وقد ورد ذكر جوخى في كتب التاريخ عند كلامها عنبعض الحوادث ، فيذكر الشعبي ان جوخا « كان يشتويها سام بن نوح » وان سام « كان ممره من جوخى الى بزبدى على نهر دجلة من الجانب الشرقي ، ويسمى ذلك المكان الآن سام راه ، يعني طريق سام » (ياقوت ٣ ، ١٥ ، الدينوري : الاخبار الطوال ٤) وذكر ابن النديم ان مانى ولد بجوخى (الفهرست ٤٥٦) •

يقول الدينوري « كوّر كسرى انوشروان بجوخى كورة خسرو سابور ، وجعل بها سابور خسرو ، وهي طسوج طيسفين وهي المدائن •

وطسوج جازر ، وطسوج كلواذى ، وطسوج نهر بوق ، وطسوج جلولاء ، وطسوج نهر سنك ، (الاخبار الطوال ص ٧٥) • واذا قبلنا كلام الدينوري حرفيا ، فان جوخى كانت اقليما ، وليس كورة ، وانها كانت تمتد في شرقي وغربي دجلة ، لان جازر ونهر الملك يقعان غربي دجلة ، كما ان نصه يعني ان جوخى كانت تمتد الى جلولاء شرقا ، والى بغداد شمالا (حيث تقع كلواذى ونهر بوق) •

يقول ياقوت « جوخا اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد بالجانب الشرقي ، منه الراذانات ، وهو بين خانقين وخورستان (٢ ١٤٣) •

٢ ـ لم تكن جوخى في العصور الاسلامية كورة واسنا او طسوجا ، اذ لم يرد ذكرها في قوائم كور وطساسيج العراق التي اوردها ابن خرداذبه وقدامه والمسعودي وغيرهم •

غير انه ورد في كتب التاريخ ذكر جوخى (طبري ٢/٨٩٩ ، ٩٣٣) وبطن جوخى (طبري ٢/١٧٣٦) كما تردد ذكر ارض جوخى وخاصة في الطبري حيث ذكرها خلال كلامه عن عدة حوادث منها :

١ ـ ان عبدالله بن وهب خرج من الكوفة « فعبر دجلة الى ارض جوخى وسار الى النهروان (١ ٣٣٤٧) •

٢ ـ لما وصل الخوارج جرجرايا ، عبروا دجلة فمضوا منه الى ارض جوخى حتى بلغوا المذار ، (٢/٤٤) •

٣ ـ لما خرج يزيد بن انس من الكوفة قاصدا الموصل ، سار الى سورا ثم الى المدائن ثم انه اعترض بهم ارض جوخى حتى خرج بهم من الراذانات حتى قطع بهم الى ارض الموصل ، (٢ ٣٤٥) •

٤ ـ ان الجزل بن سعيد طيارد نبيا الخارجي في أرض جوخى (٢/٩٠٣) وعند مطاردته ، اخذ على طريق بزاز الروز ثم جرجرايا ، وكان شبيب يدعه ويضرب في ارض جوخى ، (٢/٩٠٧) ، ثم ارتفع شبيب الى دقوقا وشهرزور •• ثم انه اتبعه ، حتى مر به على خانقين ثم على جلولاء ثم على سامراء ثم اقبل حتى نزل تكريت ، غربيه من غربي الموصل على نحوه الموصل ، ليس بينه وبين سواد الكوفة الا نهر يسمى حولايا ، قال وجاء عبدالرحمن بن محمد ابن الاشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي واذان الاعلى من ارض جوخى ونزل عواقيل النهر (٢/٩٣١ ـ ٢) •

٥ ـ ان شبيب الخارجي مضى « في ادانى ارض الموصل وتخوم ارض جوخى ، ثم ارتفع نحو اذربيجان » (٢ ٨٩٦) •

٦ ـ « قرية المدبج من ارض الموصل على تخوم ما بينهما وبين ارض جوخى » (٢ ٨٩٠) ويذكر البلاذري انه لما ثار اهل الكوفة على عثمان بعث الاشتر « يزيد بن حجيه التيمي الى المدائن وارض جوخى (انساب الاشراف ٥/٤٥) •

ويتبين من هذه النصوص ان جوخى موقعها (١) شرقي دجلة (٢) شمالي المذار (٣) شرقي جرجرايا (٤) تمتد الى الراذانات ، وان الراذان الاعلى من جوخى (٥) تمتد الى اطراف اقليم

الموصل ، وبينها وبين اقليم الموصل تقع قريتا البت والمدبج • ويذكر المسعودي ان بهندف وبادرايا وباكسايا وهي بالنبطية ترقتف من ارض جوخى ، (التنبيه ٣٣) •

وقد اشارت المصادر الاسلامية الى عمال جوخى ، وذكر بعضها اسماء بعض هؤلاء الولاة ، فبعد ان فتح المسلمون العراق ارسل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب « حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة من جوخى وماسقت » • وكان حذيفه على ختم جوخى ، وعثمان بن حنيف على ختم اسفل الفرات » (الخراج لابي يوسف ٣٧ ، ٣٨) •

وذكر الطبري ان عبدالله بن الحر « كان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى ، فيأخذ ما معهم من الاموال ثم يميل الى الجبل » (الطبري ٢/ ٧٧٠) •

وقد عين المختار اسحق بن مسعود « على المدائن وارض جوخى » (طبري ٢/٦٣٥) وعين ابو حرب بن ابي الاسود على جوخى (المعارف لابن قتيبة ٤٣٥) وعين زحر بن قيس ، ويقال محمد بن ابى سبره على جوخى » (انساب الاشراف ٥/١٩٣) •

ولما ثار شبيب واخذ يعيث بالبلاد « فهال ذلك الحجاج وبعث الى عثمان بن قطن ، ودعاه وسرحه الى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونه جوخى كلها وخراج الاستان (طبري ٢/٩٢٩) •

اما في العصر العباسي فقد ذكر الطبري انه « كان زهير بن المسيب حينئذ مقيم باسكاف بني الجنيد وهو عامل الحسن على جوخى مقيم في عمله » (٣/١٠٢٢) •

وكان موسى خليفة مساور بن عبدالحميد الشاري « قد ولاه مساور ما بين باب حلوان الى السوس على طريق خراسان وبطن جوخى وما قرب ذلك من طساسيج السواد » (٣/١٧٣٦) •

وقد ذكر الصابي ان ضمان أحمد بن محمد الطائي في أول أيام المعتضد بالله يشمل أعمال سقي الفرات ودجلة وجوخى وواسط وكسكر وطساسيج نهر بوق والذبين وكلواذى ونهربين والراذانين » (الوزراء ١٥) •

كما أشار الى أمير الطيب وقرقوب وجوخى ، المسمى صاحب ايذج والبنيان وواسط والزقورة (الوزراء ١٧٣) •

يتبين من النصوص التي اوردناها ان جوخى لم تكن كورة في العصر الاسلامي ، ولكنها كانت اقليما اداريا له ولاة خاصون •

وقد ذكر الطبري ان الموفق عندما ذهب الى الاهواز سار من واسط « فنزل باذبين ثم جوخى ، ثم الطيب ، ثم قرقوب ، ثم درستان ، ثم على وادي السوس .. » (طبري ٣/١٩٧٤) •

ولعل هذا المكان هو نفس جوخان التي ذكر ياقوت انها « بليدة قرب الطيب من نواحي الاهواز » (٢/١٤٤) • ومن المحتمل ان هذه المدينة كانت في القديم مركز الاقليم الذي اخذ نفس الاسم •

لقد ذكرنا في أول المقال ، الروايات التي تذكر ان جوخى كانت تسر بها دجلة وانها انحطت بعد تحول دجلة عنها ، ويذكر البكري (٣٥٧) وياقوت (٢/١٤٣) ان خراجها كان ثمانية آلاف ألف درهم ، ولعلهما يشيران الى ما

كانت عليه قبل انحلالها .

ويذكر ياقوت لانحلالها سبباً آخر بجانب تحول دجلة عنها ، الا وهو طاعون شيرويه الذي اجتاح البلاد ، وهو يقـــول « ولم يزل السواد وفارس في ادبار مذكان طاعون شيرويه ، (٢/ ١٤٣) .

غير ان هذه المنطقة بقيت فيها اثار الازدهار عند الفتح الاسلامي ، ثم زاد انحلالها بعد ذلك فيروى أبو يوسف عن مجـــالد عن الشعبي ان عمر بن الخطاب عندما ارسل حذيفة على ما وراء دجلة من جوخى وما سقت ، وعثمان بن حنيف على ختم اسفل الفرات « كان عثمان عالما بالخراج فمسحها مساحة الديباج ، وأما حذيفة ، فكان أهل جوخى قوماً مناكير فلعبوا به في مساحته ، وكانت جوخى يومئـذ عامرة فخربت بعد ذلك وغارت مياهها وقلت منافعها وصارت وظيفتها يومئذ هينة لما كانوا عملوا على حذيفة في مساحته (الخراج ٤٨) .

وفي قصيدة لزياد بن خليفة الغنوي ما يبين ان جوخى كانت في صـــدر الاسلام مزدهرة ، وانها كانت معرضة للانحلال بسبب الحمى التي هي الملاريا فيما يظهر ، فيقول زياد :

ألا ليت شعري هـل ابيتن ليلة
بميثـاء لا تؤذى عيالي بقوقهـا
وهل تأخذني ليلة ذات لذة
يد الدهر ذاك رعدها وبروقها
من الواسقات المـاء حول ضرية
يمج الندى ليل التمام عروقها

هبطنا بلادا ذات حمى وحصبة
وموم واخوان مبـين عقوقهـا
سوى أن اقواما من الناس وطشوا
بأشياء لم يذهب ضلالاً طريقها
وقالوا عليكم حب جوخا وسوقها
وما أنا أم ماحب جوخا وسوقها

(ياقوت ٢/١٤٣ وانظر أيضا الطبري ٣٥٧) .

٧ ـ الجانب الغربي

ان معلوماتنا قليلة جـــدا عن الاحـــوال والاماكن التي في الجهات الغربية من دجلـــة في منطقة واسط في القرون الاسلامية ، فان الكتب الجغرافية العربية لم تصفها ، وكتب التاريخ لم تذكر حوادث وقعت فيها ، كما ان كتب التراجم لم تشر الى مدن أو اماكن سكنية فيها . ويبدو ان قلة المعلومات راجع الى ان هذه المنطقة الغربية كانت منطقة جرداء لا تتوفر فيها المياه التي هي العامل الاول في ازدهـار الحضارة والعمران في العراق خاصة . وقد ذكر الاصطخري صراحة الى ان واسط « مدينة يحيط بحدها الغربي البادية بعد فراسخ يسيرة » (المسالك ٨٢) ؛ ولعل هذا هو السبب الذي جعل الاصطخري لا يدخل هذه المنـــاطق الغربيـــة من ضـــمن العراق ، حيث أنه جعـــل حدود العراق تطـــابق حـــدود المناطق المزروعة الآهلة ؛ فقد ذكر ان العـــراق « عرضها بواسط : من واسط الى قرب الطيب ، وانه « يرجع الى حد المغرب فمن وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها الى واسط ، ثم على ســـواد الكوفة وبطائحهـــا الى الكوفة ،

(المسالك ٧٩) .

ومن أهم العوامل التي جعلت الاراضي التي غربي منطقة واسط جرداء هو ان نهر الفرات في القرون الاسلامية الاربعة الاولى لم يكن يخترقها ، كما هو الحال في العصور الحديثة ؛ فكان مجراه بعد اجتيازه منطقة الكوفة يتجه شرقا حتى يصل الى قريب من دجلة في شمالي واسط ؛ وكانت بعض ذنائبه تصب في بطيحة الكوفة التي تمتد في شمالي منطقة واسط والتي ذكرناها من قبل .

ويجدر بنا ان نشير الى ان الفرات تصريف مياهه أقل بكثير من تصريف مياه دجلة ، كما انه تأخذ منه كافة الانهار التي تروي المنطقة التي بين دجلة والفرات والواقعة بين دمما (بالقرب من مدينة الرمادي الحالية) ونهر النيل . ومن المعلوم ان هذه المنطقة كانت عامرة في القرون الثلاثة الاولى ، لذلك كانت كمية الماء التي تصل ادانى الفرات قليلة نسبيا ، أما بعد تدهور أحوال الري في القرن الرابع ، فقد خربت الانهار والترع التي كانت تأخذ المياه من الفرات ودجلة ، ولذلك زادت كمية المياه التي تصل الى أداني الفرات الذي أخذ يسلك مجرى جديدا يخترق الاراضي الواقعة في غربي منطقة واسط ويصب في دجلة عند مطاره وهي « على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة » (ياقوت ٤/٥٦١) . ومن المؤكد ان الفرات اخذ مجراه الجديد بعد القرن الرابع الهجري ، غير ان المصادر لا تبين متى حدث ذلك بالضبط .

ومما أدى الى عزلة الجهات الغربية عن منطقة واسط وقلة المعلومات عنها ان الطرق الرئيسة التي تربط البصرة بالمدن الواقعة في اواسط العراق كالكوفة وبغداد ، لم تكن تخترق هذه الجهات الغربية بل كانت تمر في اطرافها ؛ فالطريق الذي يسلكه العمال أيام بني امية بين البصرة والكوفة كان ، على ما ذكره هشام بن محمد بن الكلبي عن ابيه ، يسير غربا مارا بسلسلة العيون الممتدة في طرف الصحراء (ابن رسته ١٥٠ وانظر عن هذا الطريق البري ياقوت ٤/٣٥٩) .

ومن الطبيعي ان طريقا شرقيا كان يربط البصرة بواسط فالكوفة أو بغداد ، وكان يمر بالمذار ، وقد مرت به عدة جيوش اسلامية ، ثم كان الطريق بين البصرة وبغداد ، وقد وصفنا عند الكلام عن المنطقة الجنوبية من واسط .

وبالرغم مما ذكرنا ، فقد كان يمر بالاراضي الواقعة غربي منطقة واسط طريقان احدهما طريق الحج من واسط ، والثاني هو الطريق الذي يمر بين واسط وخفان التي تقع بالقرب من القادسية .

طريق الحاج

فاما طريق الحاج من واسط فان كتب البلدانيين لم تقدم وصفا كاملا له ، غير ان في ياقوت نصوصا متفرقة نستطيع ، عند جمعها ، ان نعرف منازل الطريق بين واسط والثعلبية ، والاماكن التي تقع قرب كل منزل منه . وقد ذكر ياقوت ان السكوني هو مصدره في معلوماته عن معظم منازل هذا الطريق . ولعل السكوني هو مصدره أيضا في المعلومات التي اوردها عن بقية الاماكن التي لم يذكر مصدره عنها .

ينقل ياقوت عن السكوني أن « من واسط الى مكة طريق يخرجون اليه من واسط فينزلون

العيون ، وهي صماخ ، وأدم ، والمشرحه (٣/ ٧٦٦) •

فاما صماخ فان ياقوت يذكر انها « ماء على منزل واحد من واسط للقاصد مكة » (٣/٤١٦) كما يقول ان « مُشَرّحه وهو منزل من واسط للقاصد الى مكة » (٤/٥٣٧) •

واما ادم فان ياقوت يقول انها « اول منزل من واسط للحاج القاصد الى مكة وهو من العيون » (١/٩٣٨) وان « بقربه الثنى » (١/٩٣٨) •

ويذكر ياقوت أيضا ان « ادم موضع قرب ذي قار » (١/١٦٩ ، ٩٣٨) وان ذو قار « ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط » (٤/١٠) وذو قار مشهور بالموقعه التي حدثت فيه وانتصر فيها بنو شيبان على الفرس ، كما ان الامام علي عسكر فيه عندما تقدم الى البصرة للقضاء على ثورة أصحاب الجمل » (طبري ١/٣١٠٣ ، ٣١١٠ ، ٣١٢٦ ، ٣١٤٤ ، ٣١٥٤) •

وقد ذكر ياقوت بقرب ذي قار عددا من الاماكن منها ؛ العجروم « قال السكوني ماء قريب من ذي قار » (٣/٦١٨) و « حنو ذي قار على ليلة منه (٤/١٠ ، انظر أيضا ٢/٣٤٩ الطبري ١/١٠٣٠) • والجبابات « موضع قريب من ذي قار كانت به احدى الوقائع بين بكر بن وائل والفرس » (٢/١٣) ، والجبابات موقعها « بين حنو ذي قار وبين ذي قار » (طبري ١/١٠٣١) •

و « سقار منهل قبل ذي قار بين البصرة والمدينة ، وهو لبني مازن بن مالك بن عمرو » (ياقوت ٣/٩٥ ، ١٠٠ عن نصر) وقد ذكر الطبري ان سجاح المتنبئة مرت بسقار (١/١٩١٥)•

وبقرب ذي قار يقع الجب (طبري ١/١٠٣٢) والراحضه (طبري ١/١٠٣٥) •

والمنزل الثاني من منازل طريق الحاج هو القيارة « منزل للحاج من واسط على مرحلتين ، وهو بئر لبني عجل، يرتحلون منها الى الاخاديد » (ياقوت ٤/٢١١) •

والمنزل الثالث من واسط للمصعد الى مكة هو الاخاديد « وهي ركايا في طرف البر ، وفيها قباب ، وماؤها عذب » (ياقوت ١/١٥٨) ويذكر كتاب المناسك « الاخاديد جبال منقطعة فيها نحو من مائة قليب ، قريبة الماء ، وربما نزحت فلم يكن فيها شيء ، ومن الاخاديد الى سلمان نحو ثمانية عشر ميلا » (٥٢٧) والاخاديد تبعد يوما عن الفضاض « وهو ماء بينه وبين الطرق ثلاثة أميال » (ياقوت ٣/٨٠٥) أما الطرق فهو « موضع بينه وبين الوقباء خمسة أميال » (ياقوت٣/٥٣١)•

أما المنزل الرابع الذي يتلو الاخاديد فهو لينه (ياقوت ١/١٥٨٨) « وهي كثيرة الركى والقلب ، ماؤها طيب ، وبها حوض للسلطان ، ومنه الى الخل ، وهي لبني غاضرة ، ويقال انها ثلاثمائة عين » (ياقوت ٤/٣٧٥ عن السكوني) و « يرحل حاج واسط من لينة اليوم الرابع فيدخلون في رمال الخل الى الثعلبية » « ولينة أقرب الى الثعلبية » (ياقوت ٢/٤٦٤) •

لقد ذكرنا ان المصادر ذكرت طريقان من واسط الى الغرب ؛ أولهما طريق الحاج الذي يتجه غربا الى الثعلبية ، وهو الذي ذكرنا منازله وما عليه من الاماكن • والطريق الثاني هو الذي يتجه نحو الشمال الغربي ويصل الى خفان

التي تقـــع قرب القادسية • وقد ذكر السكوني منازل هذا الطريق فقال « من خرج من خفان يريد واسطا من الطف : خرج الى نجران ، ثم الى عبدينيا وجنبلاء ، ثم قنـــاطر بني دارا وتل فخارا ، ثم الى واسط » (ياقوت ٢/٤٥٦) •

خفان :

فأما خفان فيقول ياقوت انها « موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا ، وهو مأسدة ، قيل هو فوق القادسية » (٢/٤٥٦) ويقول في مكان آخر « اصبع خفان بناء عظيم قرب الكوفة من أبنية الفرس ، وأظنهم بنوه منظرة هنـــاك على عادتهم في مثله » (١/٢٩١) • ونقل البكري عن الاحول « حزوى وخفـــان موضعان قريبان من السواد » (معجم ما استعجم ٤٤٤) ؛ وذكر عددا من الاشعار التي ذكرت فيها خفان (انظر معجم ما استعجم ٥٠٥ـ٦) ، ونقل ياقوت عن السكرى «خفان وخفية أجمتان قريب من مسجد سعد بن أبي وقاص في الكوفة » (٢/٤٥٦) •

ذكر الطبري ان « خفان وهي على أربعـة فراسخ من القـادسية » (٣/٢٩٦) وان « مرج السباخ بين القادسية وخفان » (١/٢١٨٤) وذكر أيضا ان المثنى بن حارثة الشيباني أقام ابان بعض حركاته ضد الفرس في مرج السباخ (١/٢١٨٧) • ويروي ياقوت شعرا قاله المثنى :

غلبنا على خفان بيـــداً وشيحة
الى النخلات السمر فوق النمارق
(٤/٨١٢)

وقـد ورد ذكر خفان في اخبـار معـركة القادسية ، فيذكر الطبري ان رستم نزل العتيق ثم « ساير العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ، ثم صـــعد حتى انتهى عـــلى القنطرة » (١/٢٢٦٧) •

ينقل ياقوت عن السكوني « وعن يســـار القادسية في شرقيها على بضعة عشر ميـــلا قرية لولد عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس يقال لها النسوخ من ورائها خفان » (٤/٧٨٢) ويقول أيضا « خفـــان من وراء النسوخ على ميلين أو ثلاثة ، عين عليهـــا قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفان وهما قريتان من قـــرى السواد من طف الحجاز (؟) » (٢/٤٥٦) •

نجران

أما نجران فقد أنشأها أهل نجران اليمن الذين أجلاهم عمر بن الخطاب عن أرضهم في اليمن ونقلهم الى العراق ، فيقول الطبري عنـد الكلام عن حوادث سنة ٢٠هـ « فيها أجلى يهود (كذا في الأصـل والصحيح نصارى) نجران الى الكوفة فيما زعم الواقدي » (١/٢٥٩٥) ويقول البلاذري « فلما استخلف عمر بن الخطاب أجلى أهل نجران الى النجرانية •• ان أهل نجران «نزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت» (فتوح ٦٦) وقد عقـــد كل من أبي يوسـف في كتاب الخراج والبلاذري في فتوح البلـدان فصـــلا طويلا ذكـــر فيـه كتاب عمر لهـــم ومعـاملة الخلفاء لهم حتى العصر العباسي الاول (انظر فتوح ٦٥ـ٦ الخراج لأبي يوسف ٤٢ـ٣) •

أما عن موقعهـــا فيذكر الطبري ان شيبا الخارجي كان في السيلحين وأراد العـــودة الى

الكوفة « فانقض بهم جـوادا حتى يأتي نجران وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل عن جماعة القوم فخبر باجتماعهم بروذ بار في أسفل الفرات في بهقباذ الاسفل على رأس ٢٤ فرسخا من الكوفة » (طبري ٢/٩٢٢) ومن الواضح ان قوله « نجران ناحية عين التمر » هو كلام غـير دقيق وان المعلومات الاخرى تؤيـد ان نجران قرب روذبار في البهقباذ الأسفل •

ينقل ياقوت « قال أبو حسـان الزيادي انتقل أهل نجران الى قرية تدعى نهر ابان من أرض البحر المنقطع من كـورة البهقباذ من طساسيج ؟) وكانت هذه القرية من الضواحي ، وكان كسرى أقطعها امرأة يقال لها أبان ، وكان زوجها من أوراد المملكة يقال له بانى ، وكان قد احتفر نهر الضيعة لزوجته وسماه نهر ابان ثم ظهر عليها الاسلام وكان أولادها يعملون في تلـك الارض ، فلما أجلى عمر أهـل نجران نزلوا قريـة من حمراء ديلم يريدون موضعا ، فاجتاز بهم رجل من المجوس يقـال له فيروز فرغب في النصرانيـة فتنصر ، ثم أتى بهم حتى غلبوا القرية وأخرجوا أهلها عنها وابتنوا كنيسة دعوهـا الاكيراح ، فشخصوا الى عمر فتظلموا منهم ، فكتب الى المغيرة في أمرهم ، فرجع الجواب وقد مات عمر ، فانصرف النجرانيون الى نهرابان واستقروا به ثم شخص العجم الى عثمان فكتب في أمرهم الى الوليد بن عتبة فألفوه قد أخرجـه أهل الـكوفة فانصرف النجرانيون الى قريتهم ، وكثر أهلهـم وقد غلبوا عليهـا » (ياقوت ٤/٧٥٧–٨) •

يتبين من هذا النص ان النجرانية تقع على نهر ابان ، ولعلـه هو نفس النهر الذي يسميه ياقوت في مكان آخر نهر ابا ويقول انه « بـين الـكوفة وقصر ابن هبـيرة ينسب الى ابا بن الصامغان من ملوك النبط (١/٧١) •

ويقول السكوني ان وراء نجران يقع نهر سنداد ، ويذكر ابن الكلبي ان هذا النهر يجرى بين سواد الحيرة والبصرة (ياقوت ٣/١٦٤) وقد اشتهر القصـر ذي الشـرفات فيـه (انظر ياقوت ١/٤٦٣ ، ٣/٦٤ ، ١٦٤) •

وقد ذكرنا عند وصف المنطقة الواقعـة جنوبي واسط ، وجود نهرين : ابان وسنداد ، ولعل هذين النهرين كانا يتصلان بنهرى ابان وسنداد الواقعين قرب الكوفة ، ثم انقطع اتصالهما بعد الاسلام •

جنبـلاء

يقول ياقوت « جنبلاء كورة وبليد ، وهو منزل بين واسط والكوفة منه الى قناطر بني دارا الى واسط » (٢/١٢٦) وهو يقـول ان « من خرج من خفان يريد واسطا خرج الى نجران ثم الى عبدينيا وجنبلاء ثم قنـاطر بني دارا وتل فخارا ثم الى واسط (٢/٤٥٦) •

وقد تردد ذكر جنبلاء في احداث القرن الثالث الهجري ، فيروى الطبري ان يحيى بن عمر خرج « من الكوفة الى سوادها فصار الى موضع يقال له بستان ، أو قريبا منه على ثلاثة فراسخ من جنبلاء ، ولم يقم بالكوفة ، وتبعته جماعة من الزيدية فاجتمعت على نصرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الاعراب واهل الطفوف والسيب

الاسفل والى ظهر واسط ، وقصد يحيى نحو البحرية وهي قرية بينها وبين قسين خمسة فراسخ • ثم مضى يحى بن عمر في شرقي السيب والحسين في غربيه حتى صار الى احمد آباذ فعبر الى ناحية سورا » (طبري ٣/١٥١٧ أنظر أيضا مقاتل الطالبين ص ٦٤١) •

وفي ثورة الزنج تقدم احد قوادهم وهو ابن ليثويه حتى «صار الىناحيةالكوفة وجنبلاء•• ثم زحف ابن ليثويه الى الشديدية وضبط تلك النواحى الى ان ولى أحمد بن محمد المولد واسط » (طبري ٣/١٩٢٥) •

« ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ومضى بجميع الجيش الى جنبلاء ليعيث ويخرب •• ثم مضى الى نهر الامير فعسكر به ووجه الجبائى والمذوب الى جنبلاء فاقاما هناك تسعين ليلة وسليمان معسكر بنهر الامير ، وكان سليمان معسكرا بالشديدية » (طبري ٣/١٩٢٦) •

ويذكر الطبري « ذكر ان سليمان بن جامع كتب الى صاحب الزنج يخبره بحال نهر يعرف بالزهيرى ويسأله الاذن له في النفقة على انفاذ كريه الى سواد الكوفة والبراز ويعلمه ان المسافة قريبة ، وانه متى انفذه تهيأ له بذلك حمل كل ما بنواحي جنبلاء وسواد الكوفة من الميرة ، فوجه الخبيث للقيام بذلك رجلا يقال له محمد بن يزيد البصرى وكتب الى سليمان بازاحة علله في المال والاقامة معه في جيشه الى وقت فراغه مما وجه له ، فمضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطية نحواً من شهر وألقى الفعلة في النهر ، وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرق ما حوله من أهل خسر سابور ، وكانت الميرة تتصل به من ناحية الصين وما والاها الى ان واقعه ابن ليثويه عامل أبي أحمد على جنبلاء فقتل له أربعة عشر قائدا •• فمضى مفلولا حتى وافى طهيثا فاقام بها ، ووافى الجبائى فى عقب ذلك ثم اصعد فأقام بالموضع المعروف ببرتمرتا •• » (طبري ٣/١٩٢٨) •

يتبين من هذه النصوص ان جنبلاء :

١ ــ تبعد ثلاثة فراسخ عن البستان •

٢ ــ بينها وبين الشديدية طريق

٣ ــ بقربها الطفوف والسيب وواسط •

٤ ــ بقربها نهر الامير •

٥ ــ بينها وبين قسين طريق ، وتقع البحرية على خمسة فراسخ من قسين •

٦ ــ يصل نهر الزهيرى بين منطقتى جنبلاء وواسط وهو بالقرب من الشريطية وخسر سابور •

٧ ــ تتصل الشريطية بالصين •

ويذكر سهراب في وصفه مجرى نهر سورا الاسفل انه « يمر الى قسين ويتفرع منه هناك انهار تسقى طسوج جنبلاء وما والاها ويصب في هذا النهر الذى يأخذ من الفرات وهو البداة اسفل من الكوفة وسوادها (عجائب الاقاليم ١٢٥) •

وكانت جنبلاء لها صلة وثقى بالقرامطة فيروى الطبرى في احداث سنة ٢٨٧ « ورد الخبر فيما ذكر على السلطان ان القرامطة بالسواد من اهل جنبلاء وثبوا بواليهم بدر غلام الطائى فقتلوا من المسلمين جمعا فيهم النساء والصبيان

وأحرقوا المنازل (طبري ٣/٢١٩٨) كما انه عند كلامه عن هجوم القرامطة على الكوفة في سنة ٢٩٣ « وكان الذين وافوا باب الكوفة في هذا اليوم فيما ذكر ٨٠٠ فارس او نحوها رأسهم الذبلاني بن مهرويه من أهل الصوأر ، وقيل انه من أهل جنبلاء » (طبري ٣/٢٢٦١) ويذكر المسعودي ان القرامطة أوقعوا ببني نفيس في الطفوف وتل فخار وجنبلا (التنبيه ٣٣٩) .

قناطر بني دارا

لقد ذكرنا ان الطريق بين الكوفة وواسط يمر بجنبلاء ثم قناطر بني دارا ثم تل فخارا. فأما قناطر بني دارا فليس لدينا عنها الا قول ياقوت انها « موضع قرب الكوفة » (٤/١٨٠) واما تل فخارا ، وهي آخر محطة قبل واسط ، فقد ذكر في احداث تقدم الزنج الى الشمال حيث يذكر الطبري ان سليمان بن جامع « مضى في الاهوار حتى خرج على الهورين المعروفين بالبرية والعمرقة ثم مضى نحو محمد بن علي بن حبيب وهو يومئذ بموضع يقال له تلفخارا ، فوافاه فأوقع به وقعة غليظة قتل فيها قتلى كثيرة وأخذ خيلا كثيرة وحاز غنائم جزيلة وقتل أخا لمحمد بن علي وأفلت محمد ورجع سليمان فلما صار في صحراء بين البزاق والقرية وافته خيل لبني شيبان ، وقد كان فيمن اصاب سليمان بتل فخارا سيد من سادات بني شيبان واسر ابنا له صغيرا وأخذ حجرا كانت تحته ، فانتهى خبره الى عشيرته فعارضوا سليمان بهذه الصحراء في اربعمائة فارس » (طبري ٣/١٩٢١) ويقول المسعودي ان القرامطة كان جمهورهم بنو ذهل وبنو رفاعة وانهم اوقعوا ببني نفيس بناحية الطفوف وجنبلاء وتل فخارا (التنبيه ٣٣) .

ويتبين من نص الطبري ان هورى الرية والعمرقة ينفذان الى تلفخارا وان هذه القرية قرب البزاق وبينهما صحراء .

فاما البزاق فيقول عنه ياقوت انه موضع قرب تل فخارا من اعمال واسط (١/٦٠٤) ويصفه بانه نهر يجتمع اليه فضول مياه السيب وما فضل من ماء الفرات » (١/٦١٠ وأنظر أيضا فتوح ٩١) .